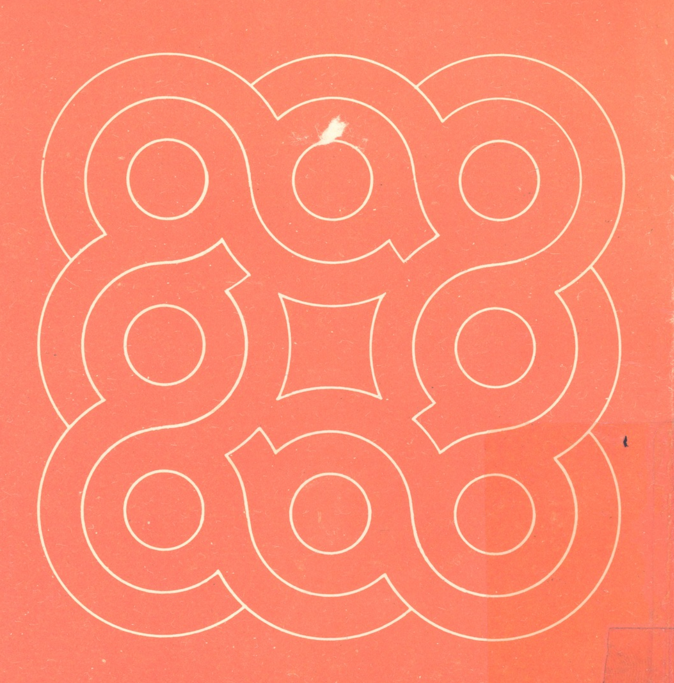
عن الذاتية والموضوعية في علم النفس

د. صلاح مخيمر



عن الذاتية والموضوعية
في علم النفس

د. صلاح مخيمر
دكتوراه الدولة جامعة السوربون
أستاذ الصحة النفسية جامعة عين شمس

الناشر
مكتبة سعيد رأفت

اهـــداء

الـــى نفسى .. ذاتى ... نرجسيتى ، هـــذه التى تتكشف لى دائما أبــدا فى نهاية الأمــــــــر على مرسح الاستبصار وأن يكون عبر العلاقة مـــــع الآخرين ،هدف حياتى وقبلة وجودى وكعبة كينونــتى . فالآخر عندما لا يكون مجرد تجسيد لبعض ذاتـــــى يتيح لى عبر التكثر احاسيس الكينونة معا ، يقتصــــر على أن يكون مجرد أداة تتيح لحقل ذاتى عبر الملكية أن يمتد بحدود مملكته .

واذا كانت الموضوعاتية فى ظاهرة الحب[1] الحقيقى مجرد تعبير عن النرجسيه فى ذروتها ،فما الغريب فى أن تكون الموضوعيه فى العلم مجرد تعبير عن الذاتية، لا ذاتية الميثوس بتخييلاته بل ذاتية اللوغوس[2] الـــتى تجيب بالحقيقة على الواقع .

---

(١) انظر objectal رسالة فى سيكلوجية الحب ،الطبعة الثانية ،الانجلو .

(٢) انظر مقدمة تناول جديد فى تصنيف الأعصبة والعلاجات النفسية ،الأنجلو .

مقدمـــــــــه

ليست العملية العلميه فى صميمها غير رد " كثرة " من الظواهر المتماثلة الى " وحدة النظرية التفسيرية أو القانون الفهمى ، شريطة الا يكون ذلك بتشوينها فى فئات وأصنـــاف على طريقة النهج الارسططالى فى تناول الوقائع بحيث تستخلص الخصائص المشتركـــة داخل الصنف، لتعميدها ماهيه لطبيعة هذا الذى يحتويه الصنف ، بل تكون برد الظواهر المتماثله وفقا للنهج الجاليلى فى تناول الوقائع الى وحدة الا نموذج الهيكلى الذى هـــو نمط كيفى يقدم العلاقه المثالية ، وهذه التى تتجسد فى الواقع العيانى فى تشكيله مـــن التباينات أو " التبدلات الوضعية " بلغة الجشطلت لانهاية لتباينها .

وهذا النهج الجاليلى فى تناول الوقائع والذى يقوم على مبدأ المجانسة والشرطيـــة بلوغا الى اعادة بناء الوقائع فى صورة الأنموذج الهيكلى ، والذى يقوم على الاستقراء المركزى لحالة او لعدد قليل من الحالات لا على استقراء فسيح لعينه كبيرة ممثله للظاهرة موضـــع الدراسه ، انما هو المنهج العلمى بالمعنى الدقيق للكلمة .

وليس مبدأ الاقتصاد فى العلم غير تعبير آخر عن المنهج الجاليلى فى تناول الوقائع فكيما نرد الكثرة الى الوحدة على النحو الصحيح لا بد من بناء الوقائع بناءا جديدا استنادا الى الاستقراء المركزى للظاهرة فى حالتها النقية " الاستثنائية " واضعين فى اعتبارنا مبدأى المجانسة والشرطية ، .

وكيما نوضح ذلك فى تجنب لكل لبس ينبغى أن نميز بين العلم فى معناه الضيـــق الجزئى ،وبين العلم فى معناه الفسيح .

فالعالم التجريبى والعالم الكلينيكى كلاهما ينطلق من " فرض " فى رأسه ، وعن طريـق التجريب فى الحالة الأولى وعن طريق الدراسة الشاملة المطوقة فى الحالة الثانية يصل الواحد والآخر الى تأييد فرضه او دحضه . وذلك هو العلم بمعناه الضيق والجزئى والذى يتيح لنا مجرد حقائق جزئية حتى وإن تكن يقينية .

ولكن هذه الحقائق اليقينية الجزئية تحتاج الى اعادة بنائها فى صورة النظرية التفسيرية او القانون الفهمى ان كان للعملية العلمية ان تكتمل وكان للعلم ان يكون ، الامر الذى يستحيل البلوغ اليه دون النهج الجاليلى فى تناول الوقائع . وعند هذه النقطة يلتقى المنهج الكلينيكى بأسلوبه فى تناول الوقائع مع المنهج النقدى .

وقد اوضح د . حسام عزب فى رسالته عن العلاج السلوكى كيف أن المنهج النقدى يمثل نقيض الأطروحة فى الحركة الدياكتيكية الدائبة للعملية العلمية بحيث يتيح للائتلاف الجديد أن ينبثق من صراع الاطروحة ونقيضها ، مضيا على طريق التقدم والصيرورة .

واذا كان " كوهلر " امام علم نفس الجشطلت قال " بأنه لم يفهم نظرية الجشطلت الا عندما قرأ كتاب " بول جيوم " عنها ، فانه لم يكن فى ذلك مجاملا يتجاوز الحقيقة . صحيح أن " بول جيوم " لم يكن واحدا من علماء نفس الجشطلت الذين اجروا التجارب العديدة ، وانتهوا الى كثرة من الحقائق الجزئية اليقينية ، ولكنه كان هذا العالم الذى تمكن من ان يرد كثرة هذه الحقائق اليقينية التجريبية الى وحدة الصرح النظرى التفسيرى الواحد . " فيول جيوم " هو الذى أقام صرح نظرية الجشطلت بناءا جديدا تتكامل فيه كل الحقائق التجريبية التى توصل اليها علماء علم نفس الجشطلت ، ومن هنا يكون " لكوهلر " حقا ان يقرر بانه لم يفهم نظرية الجشطلت الا عندما قرأ كتاب " بول جيوم " (١)

وحركة العلم فى مجال الظواهر النفسية ليست اليوم غير انتقال مما تخلف من المفاهيم الارسطاليه الفئاتية الى المفاهيم السلسليه للنهج الجاليلى فى تناول الوقائع . وفى هذا الصدد فانى انجزت غير القليل فى هذا الاتجاه وأن كنت لا زلت اتابع نفس الطريق . وهذا ما فعله التحليل النفسى بالنسبة الى كثرة من المفاهيم السابقة كالسوية واللاسوية ومانبه اليه "فينخل" فيما يتصل بنوعية الامراض من أن تشخيصها ينبغى أن يكون تشخيصا للميكانيزمات التى هى نمطية بينما تمثل ائتلافاتها اللانمطية النوعيات المتباينة من الامراض النفسية والعقلية . ولكن التحليل النفسى رغم عظم ما أنجزه فاتته مع ذلك بعض المفاهيم التى ظلت فئاتية لم يبلغ بها الى مفهوم السلسلة و " المتصل " الواحد . " فمارجريت ميد " قد قامت كما نعلم بتصحيح المفهوم الفرويدى عن العقدة الأوديبية ومن ثم تحققت له العمومية الحقة التى تستند الى الاستقراء المركزى للظاهرة . ان الصورة التى قدمها " فرويد " عن العقدة الأوديبية لا تمثل الا اللوحة الواقعية

---

(١) علم نفس الجشطلت . الترجمة العربية – د . مخيمر . الطبعة الثانية - مكتبة مصر [illegible]

التى تجسد عليها فى الحضارة الغربية العاملان الاساسيان (١) اللذان يقيمان نمط العلاقة المثالية واللذان يتجسدان فى لوحات وقصيدة مباينة فى الحضارات الأخرى المباينة للحضارة الغربية . تلك عينة من حركة العلم اليوم فى مجال الظواهر النفسية .

وكذلك كانت محاولاتى على الطريق نفسه - فالسادية والمازوشية كانتا عند فرويد عالمين متباينين كل التباين ينتميان بكل معنى الكلمة الى فئات المنهج الارسطالى وحيث يزداد حظ الفرد من احدهما على حساب الآخر ، فتركنا فى " رسالة فى سيكولوجية الحب " الطبعة الثانية ـ ثم فى " التناقض الوجدانى " من أن ننتقل بهما الى مفهوم السلسلة الذى يقتضيه النهج الجدلى فى تناول الوقائع بحيث أصبحت السادية والمازوشية مجرد طرفين لمتصل واحد وبعينه وحيث يكون لكل فرد موقعه من الأمرين جميعا ، وأن كنا قد قلبنا المنظور الفرويدى رأسا على عقب بالنسبة الى هذين المفهومين خارج مجال الحياة الحميمة للجنسين وحيث غدت المرأة تبدو اكثر سادية من الرجل فى مجالات الحياة العادية . وكذلك فقد انتقلنا الى المفهوم الوظيفى متخلصين من مخلفات المفهوم التشريحى التى بدت لنا فى تصنيف " فرويد " لا نماط الانوثة حرفية الى دحض مفهوم المهبلية الخالصة ونافحنا عن نمط جديد هو المهبلية صاحبة القضيب السيكولوجى .

وكذلك بالنسبة الى مفهوم النرجسية والموضوعية الذين كانا يشكلان عند " فرويد " مفهومين منفصلين ومتعارضين ، شأنهما شأن الساديه والمازوشية ، بحيث لا يزيد احدهما الا بقدر ما ينقص الآخر والعكس بالعكس . وهنا ايضا اوضحنا الطبيعة الديالكتيكية لهذين المفهومين بحيث تكون ذروة الموضوعية فى الحب الحقيقى هى أيضا وفى نفس الوقت ذروة النرجسية ، طالما أن الموضوع الحبيب ليس غير أمثل تجسيد للعناصر المكثفة من عنصرى الجنسية الثنائية عند الكائن العاشق . وقد اتيح لنا ايضا فى سعينا وراء مبدأ الاقتصاد فى العلم ان نبلغ بالمفاهيم الفرويدية الى درجة اكثر من الأحكام وذلك بردنا مفاهيم الجنسية الثنائية والتناقض الوجدانى وغرائز الحياة والموت الى مفهوم واحد بعينه ، فتشبع الوجود البشرى ديالكتيكية من غرائز الحياة وغرائز الموت ، تضفى على تلك المجالات المتداخلة من السادية والمازوشية

---

(١) ترجمة الاطفال تجاه الابوين لفترة طويلة نسبيا ، والنضج الجنسى السابق لاوانه والذى يمنح للاطفال او بعضهم قبل نضج جهازهم الاتصالى الفسيولوجى ظواهر جنسية مليئة ، الامر الذى يكفى بمفرده عند " ميرلوبونتى " ليقيم علم النفس علما مستقلا عن الفسيولوجيا .

تجاه الذات والمضوعات ، وعندما ننظر الى هذا التشيخ من الزاوية العاطفية يكون "التناقض الوجداني " بينما ننظر اليه من الزاوية الانسانية Genitality فتكون "الجنسية الثنائية "

وكذلك أتيح لنا أن نبلغ الى نمط العلاقة المثالية الذى ترتد اليه كل اشكال السوية واللاسوية . فطالما ظلت الحدود قاطعة وفاصلة بين العالم الداخلى للذات وبين ممالك العالم الداخلى للذات وبين ممالك العالم الخارجى تكون السوية . أما اذا تمثلت بعض عناصر العالم الأول وكان عليها بالتالى أن تخرج متنكرة متحرفة فى صورة الأعراض المرضية الى ممالك العالم الخارجى تكون الأمراض النفسية . وفى حالة ما يجتاح العالم الداخلى للذاتية ممالك العالم الخارجى بحيث يغدو ما كان فى الداخل هو الخارج نفسه ، فعندئذ يكون الذهان فى ذروته الفصامية (١) .

وكما من قبل وفى محاولات سابقة قد اتيح لنا ان نمسك بنمط العلاقة المثالية للمراهقة وأن نتبين انها بمعنى الكلمة بداية الميلاد الوجودى للفرد على المستوى النفسى . وأكثر من ذلك أهمية بكثير اننا كشفنا عن المراهقة كأساس لتقدم الحياة البشرية وصيرورتها . فاذا كان الصراع سيم الحياة ومحركها الى التطور فان المراهقة هى التى تتيح للانسانية صراع الاجيال ومن ثم تتيح لها ان تتابع مضيها وتقدمها على طريق الصيرورة (٢) . وكذلك بالنسبة الى ظاهرة الموضة فقد تمكنا من أن نكشف النقاب عن نمط العلاقة المثالية التى يتجسد فى تشكيلة لانهاية لتباينها .

واذا كان العضو الانسالى الانثوى هو النموذج الأصلى لكل الأشكال التى تتخذها الموضة فان موضة الملابس تظل أبدا محصلة الرغبة الغريزية الاستعراضية فى " التعرى " والرغبة الاخلاقية فى " التغطى " بحيث يكون على المرأة أن تبدو عارية فى غطائها مستترة فى عريها (٣)

---

(١) انظر تناول جديد فى تصنيف الاعصبة والعلاجات النفسية .
(٢) انظر تناول جديد للمراهقة . الطبعة الثانية .
(٣) انظر سيكولوجية الموضة الطبعة الثانية .

واذا كانت أشكال العلاج النفسى على تباينها ترتد الى نمط واحد من العلاقة المثالية هو علاقة المعالج بالمريض وحيث تتوزع التقنيات على طول " متصل " واحد ، فان الأشكال العصابية والذهانية من الاضطرابات ليست غير تشكيلية تباينات من ائتلافات الدفاعات ضد الحفزات الغريزية على النحو الذى حاولنا توضيحه فى " تناول جديد فى تصنيف الأعصبة والعلاجات النفسية " .

ولكننا تمكنا بعد ظهور هذا الكتاب من أن نمعن المضى مع مبدأ الاقتصاد فى العلم حيث بلغنا الى تنظير جديد للبارانويا يردها كلها الى الجنسية المثلية دونما حاجة الى العدوانية التى استند اليها " فرويد " فى تفسيره . فأمام استحالة الاشباع للحفزة المثلية بدافع القيم يتراجع المريض معنا الى النرجسيه بحيث يتعشق ذاته الى حد التأليه (ومن هنا يكون جنون العظمة " ميجالومانيا ") وأن ظل مع ذلك فى حدود المثلية الدقيقه طالما أن العاشق هو المعشوق(١) وفى نفس الوقت فان تعلقه بموضوعه المثلى الأصلى يعانى التحريفات بحيث يتبدى على مسرح العدوانية راكبا مركبا مازوشا وعانيا معا للاضطهاد . ذلك هو نمط العلاقة المثالية الذى يتجسد فى تشكيلة من التباينات بحيث يتم ذلك على مسرح العدالة فى هذيانات التقاضى وما قد يلحق بذلك احيانا من عتوية هذيانات السوداوية . واذا كانت هذيانات الاشارة تنتمى الى تأليه الذات فى " الصورة النرجسية للمثلية النكوصية " فان هذيانات الانعشاق (اريتومانيا) وهذيانات الغيرة ليست غير صور دفاعية تحريفية للانموذج الأصلى لنمط العلاقة المثالية بحيث تقوم الغيرية بحجب المثلية والتمويه عليها . وفيما يلى التنظير الجديد على نحو تفصيلى كمثال لتطبيقنا للنهج الجاليلى .

تنظير جديد للبارانويا :

١) جنسية مثلية تفرض نفسها ولا تتيح القيم تلبية نداءها بالاشباع ، ومن ثم يكون النكوص الذى يعوض الانا نرجسية مسرفة عامرة تبلغ حد الميجالومانيا ، ولكن النكوص فى الواقع يعوض الانا عن موضوعها الأصلى المثلى بالانا موضوعا . وتلك هى الصورة النرجسية للجنسية المثلية .

---

(١) عندما اتعشق الآخر الحبيب فانما اتعشق فى الواقع نفس بمعنى المناصر الانثوية من نفس . انظر رسالة فى سيكولوجية الحب ـ الفصل الأول .

واذا كانت سيكولوجية الحب قد كشفت عن أن الحب فى اكثر صور اصاله والذى يعتبر ذروة العلاقـه الموضوعاتية objectal ليس فى نهاية الأمر غير علاقة نرجسيـــة فما الغريب فى أن يكون النكوص من عشق الآخر الى عشق الذات طالما ان الآخر الحبيب ينبغى ان يكون امثل تجسيد للذات. ومن هنا فالنكوص الى النرجسية ليس غير صـورة متنكرة للجنهية المثلية يكون المريض فيها هو العاشق وهو المعشوق معاً . (١)

٢) ولكن الأمر لا يقتصر على ذلك فالعلاقة العشقية مع الآخر موضوع الحب الأصلى تستمـر فى التعبير عن نفسها على نحو تنكرى فتبدو (٢) عدوانية متبادلة بين راكب ومركــــوب وليس فى هذا ايضا ما يبعث على الغرابة طالما ان الانسالية (غرائز الحياة) تظــــل مستحيلة بغير عدوانية (غرائز الموت) .

هنا لا نجدنا امام عنصرين مستقلين بل أمام جانبين لظاهرة واحدة ويعينها هـــى الجنسية المثلية التى تمثل الانموذج الهيكلى والنمط الكيفى الذى يقدم العلاقة المثاليـــة هذه التى تكون كل الهذيانات الأخرى مجرد تشكيلة تباينات لها .

هذيانات التقاضى والسوداويـــة :

فى محاولة للركوب على الآخر والتى يمكن ان تنتهى الى نقيض ذلك تظل الخطـــــوط الأساسية للأنموذج الهيكلى هى نفس النزعة المثلية تمارس فى أقنعة العدوانية لكنها هنا تجرى تحت راية العدالة ، وتريد للآخرين ان يشتركوا فى الأمر وأن يرتضوه . واذا كان من غـــير الممكن أن تمضى الأمور بغير احاسيس للذنب فمن الطبيعى أن ينغمر المسرح كله بالهذيانات السوداوية التى تنزل العقوبة بالذات .

هذيانات الاشارة والاريتومانيا والغيرة :

هذه الأنواع الثلاثة ليست فى واقع الأمر غير تجسيدات ، لنفس الانموذج الهيكلى الــذى أوضحناه . فتعشق الذات وتعبدها الذى يتخذ صورة الميجالومانيا يغنينا عن كل تفســـير بالنسبة الى ما تجرى تسميته بهذيانات الاشارة او التلميح . فاذا كان المريض يدرك كل شـــىء بالرجوع الى ذاته فما الغريب فى ذلك وقد غدا بالنسبه الى نفسه " الـها " يدور كل شىء فى فلكه ومن اجله ، وهل للخليقه ان تنفصل عن خالقها ؟!

---

(١) كثيرا ما يحاول المرضى بالجنسيه المثليه مجابهه انفسهم ويكون فشلهم فى ذلك من العوامل التى تؤدى بهم الى حلول اخرى .

(٢) انظر فى التناقض الوجدانى (هامش ص ١٤)

أما الاريتومانيا والتى تقوم على توهم المريض بأنه موضع حب من آخره فانها تسير فى نفس
خط التفسيرى وأن كانت هنا تضيف وظيفة دفاعية هدفها تغطى الجنسية الغيرية المتوهمة
ى المثلية العنيدة الأصلية . وهذا التمويه الدفاعى يبلغ ذروته فى حالة هذيانات الغيرة
يث يتوهم المريض حبيبه المثلى وكأنه خصمه ومنافسه : يبدو وأنه يغار منه بينما فى الواقع
غار عليه . ولكن ما الغريب فى ذلك وقد سبق أن رأينا فى الانموذج الهيكلى الأصلى كيف
ن المريض يمارس نزعاته المثالية متخفية فى أقنعة العدوانية .

وعليه فثمة انموذج هيكلى واحد ونمط كيفى واحد للبارانويا عرضنا لخطوطه الرئيسية
شكل واضح وأن تباينت الانتشارات التى يتجسد عليها .

ولكن هذا الوضوح فى الانتظام يمكن أن يخلى سبيله شيئا فشيئا للتفكك والتحلل بقدر
ا يمعن النكوص رجوعا الى الوراء . عندئذ يكون الانتقال الى تلك الحالة التى نسميها
" بارانويدية " فى الطريق الى الفصام البارانويدى .

بذلك نكون قد حققنا مبدأ الاقتصاد فى العلم . فالانماط السبعة للهذيانات التى
قدمها المصنفات العلمية قد ارتدت كثرتها الى وحدة النمط الكيفى الواحد . ذلك هو النهج
لجاليلى فى تناول الوقائع .

ولكن اذا كان الاختلاف بين السوية والمرض هو اختلاف فى الدرجة والشدة لا فى الطبيعة
النوع ، يتحتم علينا هنا أن نشير الى ماهنالك من شبه شديد بين البارانوى وبين العبقرى
ن حيث هو موجود من أجل ذاته وعلى النحو الذى أوضحناه فى " مفهوم جديد للتوافق " لمبدأ
شتهاء المثير . ولكن معنى ذلك أنه يعزف عن المواقف المألوفة وما يتصل بها من محافظة
لى الحياة بخفض للتوخر وفى ذلك كله ما يبعد به عن مبدأ الواقع . أنه يرفض الواقع المألوف
جاهدا ليبلغ به الى واقع جديد . وبديهى أن هذا الرفض للواقع المألوف يجعل العبقرى
شكل أو آخر موضع انكار ورفض ونبذ بل واضطهاد من جانب الآخرين . ولكنه لا يحفل بذلك
بل يتابع طريقة غير حافل بهم مما يبدو رفضا لواقعهم واستخفافا بهم واضطهادا لهم .

واذا كان العبقرى فى هذا كله يصدر عن ثقة بنفسه واعتداد بذاته فانه يبدو للآخرين أقرب مايكون الى جنون العظمة، ناهيك عن أنه يعانى اضطهادهم ونبذهم نتيجة نبذه لهم واستخفافه بواقعهم بذلك تكتمل اللوحة البارانوية بخطوطها الرئيسية وان كان الفارق الاساسى ينحصر فى أن الجديد الذى يستهدفه العبقرى لا ينتمى الى النسق الهذيانى وفى أنه يكون على وعى بالعملية كلها •

* * *

مزيد عن مفهوم جديد للتوافق •

وأخيرا فقد استطعنا فى " مفهوم جديد للتوافق " أن نصحح الكثير بالنسبة الى ديالكتيكية الحياة والموت وذلك فى مسايرة منا لمبدأ الاقتصاد فى العلم وللتغير الذى يشكل اللب الصميم للحياة • فايقاع التغير المتزايد أبدا (١) شرع يفرض على الحياة الواحدة للفرد الواحد كثرة من التغيرات المتلاحقة ترغمنا على الانتقال من المفهوم الاستاتى للتوافق Adjustement الى المفهوم الدينامى حقا (والذى يتناسب وحده مع ما بلغ اليه ايقاع التغير اليوم) ونعنى القابلية للتوافق Adaptability ومن ناحية أخرى فان علماء النفس كانوا وما يزالون يجمعون على النظر الى خفض التوتر بحسبانه المبدأ التفسيرى للسلوك(٢) وقد صححنا ذلك الوضع عندما أوضحنا انتماء خفض التوتر الى غرائز الموت طالما أن الحالة القصوية لخفض التوتر هى خفض توتر الحياة ذاتها أى الموت• فصميم الحياة هو الصراع ومن ثم فاذا كنا قد نسبنا خفض التوتر الى غرائز الموت يكون علينا فى مسايرة للمعقولية أن ننسب اشتهاء المثير adient motivation الى غرائز الحياة• صحيح أن ديالكتيكية الوجود البشرى تفترض وجود النقيضين معا ومن ثم تستتبع أن تكون غرائز الحياة وغرائز الموت فعالة معا وفى نفس الوقت• ولكن بقدر ما يتوهج التوتر تكون غرائز الحياة من حيث المبدأ هى الفعالة، وبقدر ماينطفىء التوتر تكون غرائز الموت من حيث المبدأ هى الفعالة • ومن هنا كانت منافحتنا عن اشتهاء المثير (٣) على أنه المبدأ الاساسى لغرائز الحياة •

---

(١) صدمة المستقبل " الترجمة العربية " • ترجمة محمد على ناصف
(٢) فى التحليل النفسى مبدأ الثبات، اللذة - الالم، الواقع، وفى السلوكية مبدأ الهوموستازيس وفى الجشطلت قانون الامتلاء واحسن صيغة ممكنة •
(٣) وفى رسالتى سيكولوجية الحب الفصل الثانى كشفنا عن أن الطبيعة الصميمة لظاهرة الحب ليستعير هذا التوتر وهذا التطلع الى •، وبما يكون الحب هو أقصى مظاهر الكائن البشرى اقبالا على واسمانا فى • وارتباطا بالحياة •

بذلك قلبنا المنظور الفرويدى رأسا على عقب فلم تعد غرائز الحياة تقوم على خفض التوتر محافظة على الحياة والمواقف المألوفة بل على النقيض من ذلك فان المحافظة على الحياة بالمعنى الحرفى الدقيق للكلمة وقوف بالحياة ومتى توقفت الحياة عن المضى فلن تكون حياة بل يكون الموت صميم الحياة هو التوتر هو الصراع هو التحرك أبدا الى الجديد ، هو المخاطرة بالحياة للمحافظة على الحياة هو السعى الى الجديد لا الاحتماء فى المألوف مما سبق أن اوضحناه فى ايجاز شديد فى " مفهوم جديد للتوافق " .

فمفهوم التوافق ينطوى بالضرورة على مخاطرة بالحياة الى الحد الذى يحتم على الشخص المتوافق أن يكون دائما على استعداد من حيث المبدأ — وعندما ترغمه الظروف — على أن يضحى بحياته ممارسة " للجريمة " أو تخلصا من الحياة " بالانتحار " . فعندما تصل الظروف فى قسوتها الى الحد الذى يهدد قيمة الذات بشكل خطير ينبغى على المتوافق أن يكون على استعداد للمخاطرة بالحياة ذاتها دون تردد على النحو الذى يظهر فى سير العظماء من القادة والمفكرين . ذلك ما يحدث وما ينبغى أن يحدث عن طواعية من أفراد الشعب عندما يكون الوطن مهددا بعدوان واحتلال يطيح بقيمة ذواتهم وبأرضهم وعرضهم . وكذلك فان الشعوب التى يغلب عليها التوافق لا تستسلم فى سلبية الى كل ألوان الظلم والاجحاف من حكامهم بل تتحرك ثائرة فى مخاطرة بالحياة لتعيد للحياة قيمتها . ومن هنا يصدق القول الشائع " أستهن بالموت توهب لك الحياة " . فلا حياة بمعنى الكلمة ولا توافق دون ما استهانة بالموت . وهكذا فان المحافظة على الحياة لا يمكن أن تكون الا عبر المخاطرة بالحياة اشتهاءا للمثير وسعيا وراء التوترات التى لا يكاد يبلغ بها الكائن البشرى الى الانطفاء حتى يستحث غيرها فغيرها سعيا وراء الجديد على طريق التقدم والصيرورة ... وهكذا حتى تنطفىء الحياة ذاتها فيبلغ خفض التوتر ذروته عدما ، تنتفى معه كل محافظة على الحياة وكل مخاطرة بالحياة جميعا .

ولكن اذا كانت الحياة فى صميمها مخاطرة بالحياة وسعيا وراء التوترات نبتعثها لنصارعها صراع الموت والحياة ، أو قل نقوم بتوليدها حتى يمتلىء الكأس ثم نناضل لنجهز عليها مما يتيح لنا المزيد والمزيد من الازدهار ، أفلا يكون فى ذلك ما ينطوى على نتائج جد خطيرة بالنسبة الى المجتمعات الرأسمالية فى مواجهة المجتمعات الاشتراكية ؟ بلى ، ان الانسان يحتاج الى أحاسيس الأمن ولكن عندما تزيد هذه الاحاسيس عن حد بعينه optimal يذهب بغرض المخاطرة التى تلد كل جديد وكل تقدم ، فعندئذ يستحيل أن يكون الانسان من حيث هو انسان، خالق صغير Demiurge خلقه الله على شاكلته) .

ولكننا هاهنا نخطو خطوة اخرى الى الامام . كان " فرويد " فى تفسيره للمسالك السوية يستعين بمبدأ الثبات بمبدأ اللذة — الالم وأخيرا بمبدأ الواقع . اما بالنسبة الى المسالك

غير التكيفية ونعنى الباثولوجية فقد خرج علينا بمبدأ آخر هو قهر التكرار . معنى هذا أن المبدأ التفسيرى للمسالك السوية غير المبدأ التفسيرى للمسالك غير السوية مما يتناقض مع مبدأ المجانسة للنهج الجاليلى فى تناول الوقائع . صحيح أن " فرويد " قد أخذ جزئيا بمفهوم السلسلية عندما رفض اعتبار السوية واللاسوية عالمين منفصلين ومتغايرين تماما متأخصا عن أن الاختلاف بينهما ليس غير اختلاف فى الدرجة والشدة ، ولكنه لم يستطع أن يمضى الى نهاية الشوط . ومن هنا أقام للمسالك السوية مبدأ تفسيريا غير المبدأ التفسيرى الذى أقامه للمسالك غير السوية . بذلك يكون " فرويد " قد نكص على عقبيه الى مفاهيم الفئات والاصناف الارسطالية .

وما نتقدم به نحن ها هنا يحقق مبدأ الاقتصاد فى العلم ومن ثم يضع فى اعتباره مبدأ المجانسة فى النهج الجاليلى . اشتهاء المثير هو المبدأ التفسيرى لكل مسالك الحياة السوية منها واللاسوية (١) وكل ما هنالك من اختلاف هو تباين الانتظام الذى يتخذه المبدأ فى الحالتين . ففى حالة السوية يمضى اشتهاء المثير فى المسار الصحيح لديالكتيكية الوجود البشرى بحيث يرتفع التوتر ويرتفع حتى يبلغ ذروته فى اشباع يحقق عدمه عبر خفض وقتى للتوتر ثم لا تلبث الحياة حتى تتوهج من جديد بالتوتر الذى يصاعد ويصاعد حتى يبلغ ذروته وعندها يفسح المرسح لتوهج توتر جديد وهكذا فى غير توقف على طريق التقدم والصيرورة . أما فى حالة اللاسوية فان ديالكتيكية الوجود البشرى تتعطل ان جاز القول بحيث يصاعد التوتر ويصاعد دون أن يكون بلوغه الى الذروة ، الى عدمه فيتواصل التوتر احتراقا ان جاز القول الى غير نهاية . كل شىء يبدو هنا وكأن غرائز الموت قد استبدت بالمرسح وسخرج لحسابها توترات الحياة ومن ثمة تكون الصيغة الآلية لهذه التوترات التى لا تمضى فى دوراته تتخلق بين الحين والحين فى وقفات وقتية من الخفض العارض للتوتر بل تدور فى حلقة مفرغة تحبس الكائن البشرى داخل نفسه فتشده يوما بعد يوم الى سكون العدم . وبلغة أخرى يمكن القول بأنه فى الحالة الاولى يرتفع توتر الرغبة ويرتفع حتى يبلغ الذروة فى اللحظة الختامية الاشباع الذى يخفضه فيفسح المرسح لتوتر رغبة جديدة . كل ذلك دون ان يكون هناك ما يعترض مضى التوتر الى ذروته وعدمه . أما فى الحالة الثانية فان توتر الرغبة لا يكاد يرتفع حتى تعترضه معوقات من أحاسيس القلق أو الذنب وما يلحق بذلك من عقوبة الذات وما الى ذلك مما يسد على التوتر مساره ويرغم الكائن على أن يدور فى حلقة مفرغة بين رغبات ومعوقات على النحو الذى أوضحنا ، فى الفصل السادس من المدخل الى الصحة النفسية (الطبعة الثالثة) .

(١) سيان توهج التوتر نورا أو تفجر حريقا .

A DYNAMIC THEORY OF PERSONALITY

CHAPTER I

THE CONFLICT BETWEEN ARISTOTELIAN AND GALILEIAN MODES OF THOUGHT IN CONTEMPORARY PSYCHOLOGY[1]

In the discussion of several urgent problems of current experimental and theoretical psychology I propose to review the development of the concepts of physics, and particularly the transition from the Aristotelian to the Galileian mode of thought. My purpose is not historical; rather do I believe that certain questions, of considerable importance in the reconstruction of concepts in present-day psychology, may be clarified and more precisely stated through such a comparison, which provides a view beyond the difficulties of the day.

I do not intend to infer by deduction from the history of physics what psychology ought to do. I am not of the opinion that there is only one empirical science, namely, physics; and the question whether psychology, as a part of biology, is reducible to physics or is an independent science may here be left open.

Since we are starting from the point of view of the researcher, we shall, in our contrast of Aristotelian and Galileian concept formation, be less concerned with personal nuances of theory in Galileo and Aristotle than with certain ponderable differences in the modes of thought that determined the actual research of the medieval Aristotelians and of the post-Galileian

[1] *Jour. Gen. Psychol.*, 1931, 5, 141-177, edited by Carl Murchison.

نظرية دينامية عن الشخصية

الفصل الأول

الصراع بين أسلوبى الفكر الارسطالى والجاليلى فى علم النفس

فى مناقشتنا لعديد من المشكلات الملحة لعلم النفس الحالى التجريبى والنظرى، فاننى اقترح استعراض تطور مفهوم الفيزيائيات وعلى وجه الخصوص التحول عن أسلوب الفكر الارسطالى الى أسلوب الفكر الجاليلى . فهدفى ليس بتاريخى ، فاننى أعتقد بالحرى أن اسئلة بعينها (تنطوى على أهمية عظمى من حيث " اعادة بناء " التصورات فى علم النفس الحالى) يمكن أن تتضح وتصاغ بشكل أكثر دقة من خلال مثل هذه المقارنة التى تتيح لنا رؤية تتخطى الصعوبات الحالية .

وليس فى نيتى أن استنبط بالاستدلال من تاريخ الفيزيائيات ماكان ينبغى على علم النفس أن يفعله . ولست ممن يعتقدون بأنه لايوجد غير علم امبريقى واحد هو علم التحديد الفيزيائيات ، والسؤال فيما أن كان علم النفس من حيث هو جزء من البيولوجيا يمكن خفضه الى الفيزيائيات أو هو علم مستقل ، يمكن هنا تركه مفتوحا .

وحيث أننا ننطلق من وجهة نظر الباحث فسوف نكون — فى التعارض الذى نقول به بين الاسلوب الارسطالى والاسلوب الجاليلى فى " تكوين المفهوم " — أقل اهتماما بالفروق الشخصية المرهفة فى النظرية عند جاليليو وأرسطو منا بفروق معينة لها وزنها فى أسلوبى الفكر والتى كانت مسئولة عن تحديد البحث الفعلى عند أرسطالى القرون الوسطى وعند الفيزيائيين اللاحقين على جاليليو (بعد — الجاليليين) .

physicists. Whether some particular investigator had previously shown the later sort of thinking in respect to some special point or whether some very modern speculations of the relativity theory should accord in some way with Aristotle's is irrelevant in the present connection.

In order to provide a special setting for the theoretical treatment of the dynamic problems, I shall consider first the general characteristics of Aristotelian and Galileian physics and of modern psychology.

General Character of the Two Modes of Thought

In Physics

If one asks what the most characteristic difference between "modern" post-Galileian and Aristotelian physics is, one receives, as a rule, the following reply, which has had an important influence upon the scientific ideals of the psychologist: the concepts of Aristotelian physics were anthropomorphic and inexact. Modern physics, on the contrary, is quantitatively exact, and pure mathematical, functional relations now occupy the place of former anthropomorphic explanations. These have given to physics that abstract appearance in which modern physicists are accustomed to take special pride.

This view of the development of physics is, to be sure, pertinent. But if one fixes one's attention less upon the style of the concepts employed and more upon their actual functions as instruments for understanding the world, these differences appear to be of a secondary nature, consequences of a deep-lying difference in the conception of the relation between the world and the task of research.

Aristotelian Concepts.

Their Valuative Character. As in all sciences, the detachment of physics from the universal matrix of philosophy and practice was only gradually achieved. Aristotelian physics is full of concepts which today are considered not only as specifically biological, but preeminently as valuative concepts. It abounds in specifically normative concepts taken from ethics, which

وسيان كان باحث ما بعينه قد كشف من قبل عن هذا الاسلوب الاخير من الفكر فـــى تناوله لنقطة بعينها أو سيان كان على بعض التأملات جد العصرية للنظرية النسبيـــة أن تتفق على نحو ما مع الارسطاليين فذلك كله لايتعلق بما نحن بصدده حاليا •

وكيما نتيح " اطار ــ تهيئة " خاص للتناول النظرى للمشكلات الديناميـــة سوف أتناول أولا الخصائص العامة للفيزيائيات الارسطالية والجاليلية ولعلم النفـــس العصرى •

الطابع العام لأسلوب الفكر فى الفيزيائيات

فاذا ما سأل أحد عن أعظم خاصية فارقة بين الفيزيائيات " بعد ــ الجاليليـة" الفيزيائيات الارسطالية فانه كقاعدة عامة يتلقى الاجابة التالية والتى كان لها تأثير هام فى المثاليات العلمية لعالم النفس : ان مفاهيم الفيزيائيات الارسطالية كانت تأنيسية (١) غير صحيحة • وعلى العكس من ذلك فان الفيزيائيات العصرية صحيحة من الناحية الكمية للعلاقات الوظيفية الرياضية المحضة تحتل الآن مكان التفسيرات التأنيسية السابقة • وهذه العلاقات قد أضفت على الفيزيائيات ذلك المظهر التجريدى الذى اعتاد الفيزيائيـــون العصريون أن يستمدوا منه زهوا خاصا •

ووجهة النظر هذه عن تطور الفيزيائيات هى بالتأكيد مديدة • ولكن اذا قـــام أحد بتركيز انتباهه " بدرجة أقل " على الطراز الذى تتخذه المفاهيم المستخدمـــة " بدرجة كبيرة " على وظائفها الفعلية كأدوات لفهم العالم ، فان هذه الفروق تبدو مـــن طبيعة ثانوية ، ونتائج مترتبة على فارق يكمن عميقا فى تصور العلاقة مابين العالـــم ومهمة البحث •

المفاهيم الارسطالية

طابعها القيمى (٢)

كما هو الشأن بالنسبة الى كل العلوم فان انسلاخ الفيزيائيات عـــن الرحم الكلى للفلسفة والممارسة لم يتم الا بشكل تدريجى ، والفيزيائيات الارسطالية مليئـــة بالمفاهيم التى تعتبر اليوم ليس فقط بيولوجية بشكل نوعى ، بل أيضا وبشكل بارز مفاهيـــم قيمية • انها بشكل نوعى تعج بالمفاهيم المعيارية المستمدة من علم الاخلاق ، والتـــى

(١) نسبة الى الانس أى الانسان • (المترجم)
(٢) نسبة الى قيمة • ج • " قيم " (المترجم)

occupy a place between valuative and nonvaluative concepts: the highest forms of motions are circular and rectilinear, and they occur only in heavenly movements, those of the stars; the earthly sublunar world is endowed with motion of inferior types. There are similar valuative differences between causes: on one side there are the good or, so to speak, authorized forces of a body which come from its tendency toward perfection (τέλος), and on the other side the disturbances due to chance and to the opposing forces (βία) of other bodies.

This kind of classification in terms of values plays an extraordinarily important part in medieval physics. It classes together many things with very slight or unimportant relation and separates things that objectively are closely and importantly related.

It seems obvious to me that this extremely "anthropomorphic" mode of thought plays a large role in psychology, even to the present day. Like the distinction between earthly and heavenly, the no less valuative distinction between "normal" and "pathological" has for a long time sharply differentiated two fields of psychological fact and thus separated the phenomena which are fundamentally most nearly related.

No less important is the fact that value concepts completely dominate the conceptual setting of the special problems, or have done so until very recently. Thus, not till lately has psychology begun to investigate the structural (Gestalt) relations concerned in perception, thus replacing the concept of optical illusion, a concept which, derived not from psychological but from epistemological categories, unwarrantedly lumps together all these "illusions" and sets them apart from the other phenomena of psychological optics. Psychology speaks of the "errors" of children, of "practice," of "forgetting," thus classifying whole groups of processes according to the value of their products, instead of according to the nature of the psychological processes involved. Psychology is, to be sure, beyond classifying events *only* on the basis of value when it speaks of disturbances, of inferiority and superiority in development, or of the quality of performance on a test. On all sides there are ten-

تحتل مكانا مابين المفاهيم القيمية والمفاهيم غير القيمية : فأعلى اشكال الحركات دائريــة ومستقيمة ، ولاتحدث الا فى الحركات السماوية ، أى حركات النجوم ، بينما العالم الارضى تحت القمر مزود بحركة من انماط أدنى - وتوجد فروق قيمية مماثلة بين الاسباب : فمــن ناحية توجد القوى الحسنة — أو ان جاز القول — القوى المشروعة لجسم والتى تأتــى من نزعته الى الكمال ، ومن ناحية أخرى الاضطرابات الراجعة الى الصدفة والى القــوى المعارضة للاجسام الاخرى ٠

وهذا النوع من التصنيف بلغة القيم يلعب بشكل غير عادى دورا هاما فــى فيزيائيات القرون الوسطى ٠ انه يضع معا فى صنف واحد أشياء كثيرة ليس بينها غيــر علاقة جد واهية أو غير هامة ويعزل أشياء هى من الناحية الموضوعية مترابطة بشكل وثيق وهام ٠

ويبدو من الواضح بالنسبة لى أن هذا الاسلوب — جد التأنيسى — من الفكــر يلعب دورا كبيرا فى علم النفس ، بل وحتى الى يومنا هذا ٠ ومثل التمييز بين أرضــى وسماوى فان التمييز الذى لايقل " قيمية " مابين " سوى " و " مرضى " قد قــام بعزل الظواهر التى هى بشكل اساسى أعظم ماتكون — بشكل وثيق — ارتباطا ٠

وليس أقل من ذلك أهمية تلك الهيمنه وبشكل تام من جانب مفاهيم القيمة علــى الخلفية التصورية للمشكلات الخاصة أو تلك الهيمنة التى كانت ، الى وقت جد قريــب ٠ ومن هنا لم يشرع علم النفس الا فى وقت متأخر فى نقص العلاقات البنياوية (الجشطلت) التى تلعب دورها فى الادراك ، واضعا بذلك هذا التصور فى مكان مفهوم الخــداع البصرى ، وهو مفهوم مشتق لا من الفئات السيكولوجية بل من الفئات الابستمولوجيــة (معرفية) يجمع معا وبغير اساس كل هذه " الخداعات " ويضعها جانبا فى انعـزال عن الظواهر الاخرى لسيكولوجيا البصريات ٠ فعلم النفس يتحدث عن " أخطاء " الاطفــال والممارسة " ، و " النسيان " مصنفا بذلك مجموعات بأسرها من العمليات تبعا لقيمـــة نتاجاتها ، بدلا من تصنيفها تبعا لطبيعة هذه العمليات النفسية ٠ فعلم النفس هــو بالتأكيد شئ أبعد من " مجرد " تصنيف الاحداث استنادا الى القيمة (عندمــا يتحدث عن الاضطرابات ، وعن الدونية ، والتفوق فى النمو ، وعن الكيفية التى تــم الانجاز فى اختبار ما) ٠ فمن كل ناحية توجد . . . .

dencies to attack actual psychological processes. But there can hardly be any doubt that we stand now only at the beginning of this stage, that the same transitional concepts that we have seen in the Aristotelian physics to lie between the valuative and the nonvaluative are characteristic of such antitheses as intelligence and feeble-mindedness or drive and will. The detachment of the conceptual structure of psychology from the utilitarian concepts of pedagogy, medicine, and ethics is only partly achieved.

It is quite possible, indeed I hold it to be probable, that the utility or performance concepts, such as a "true" cognition versus an "error," may later acquire a legitimate sense. If that is the case, however, an "illusion" will have to be characterized not epistemologically but biologically.

Abstract Classification. When the Galileian and post-Galileian physics disposed of the distinction between heavenly and earthly and thereby extended the field of natural law enormously, it was not due solely to the exclusion of value concepts, but also to a changed interpretation of classification. For Aristotelian physics the membership of an object in a given class was of critical importance, because for Aristotle the class defined the essence or essential nature of the object and thus determined its behavior in both positive and negative respects.

This classification often took the form of paired opposites, such as cold and warm, dry and moist, and compared with present-day classification had a rigid, absolute character. In modern quantitative physics dichotomous classifications have been entirely replaced by continuous gradations. Substantial concepts have been replaced by functional concepts.

Here also it is not difficult to point out the analogous stage of development in contemporary psychology. The separation of intelligence, memory, and impulse bears throughout the characteristic stamp of Aristotelian classification; and in some fields, for example, in the analysis of feelings (pleasantness and

[1] E. Cassirer, *S[illegible]griff und Funktionsbegriff. Untersuchungen über die Grundfragen der [illegible]kritik*, B. Cassirer, Berlin, 1910.

النزعات لمهاجمة العمليات السيكولوجية الحالية • ولكن لايكاد يوجد أى شك فى أننا نقف الآن فقط عند بداية هذه المرحلة ، وأن نفس المفاهيم الانتقالية التى رأيناها فى الفيزيائيات الارسططالية تقع مابين القيمية واللاقيمية تعتبر ميزة للنقائض من قبيل : الذكاء والضعف العقلى أو الحافز والارادة • فانسلاخ النسق التصورى لعلم النفس عن المفاهيم النفعية لعلم التربية ، والطب ، وعلم الاخلاق لم يتحقق الا بشكل جزئى •

ومن الممكن تماما — وانى فى الواقع أعتقد أن ذلك محتمل — أن مفاهيم المنفعة أو الانجاز ، من قبيل معرفة " صحيحة " فى مقابل " خطأ " ، يمكن فيما بعد أن تكتسب دلالة مشروعة • وعلى أية حال فاذا كان ذلك كذلك فان " خداعا " ، سوف يكون من الضرورى تخصيصه (١) لا من الناحية الابستمولوجية بل من الناحية البيولوجية •

التصنيف التجريدى

عندما تخلصت الفيزيائيات الجاليلية و " بعد —الجاليلية " من التمييز بين سماوى وأرضى ومن ثم وسعت من مجال الطبيعى بشكل هائل ، لم يكن ذلك راجعا فقط الى استبعاد مفاهيم القيمة ، بل ايضا الى تأويل مختلف للتصنيف — وبالنسبة الى الفيزيائيات الارسططالية كانت عضوية شئ ما فى (صنف) أو (فئة) بعينه تنطوى على أهمية حاسمة وذلك لان النصف عند أرسطو كان هو الذى يحدد الماهية أو الطبيعة الاساسية للشئ وبذلك كان هو الذى يقوم بتحديد سلوكه فى الحالتين الموجبه والسالبه كلتيهما •

وكان هذا التصنيف غالبا مايتخذ صورة أزواج من " النقائض " ، من قبيل بارد ودافئ ، جاف ورطب ، وبمقارنته مع تصنيف اليوم فانه كان يتسم بطابع الجمود والمطلق • وفى الفيزيائيات الكمية العصرية أخلت التصنيفات الثانئية مكانها تماما للتدرجات المتصلة • ومفاهيم الجوهر " المقوم " أخلت مكانها للمفاهيم الوظيفية •

وهنا أيضا ليس من العسير أن نبين المرحلة المماثلة من التطور فى علم النفس المعاصر • فعزل الذكاء ، والذاكرة ، والحفزة انما يحمل الطابع المميز للتصنيف الارسططالى وفى بعض الحالات وعلى سبيل المثال ، فى تحليل المشاعر (السرور

---

(١) تحديد خصائصه (المترجم)

unpleasantness), or of temperaments,[1] or of drives,[2] such dichotomous classifications as Aristotle's are even today of great significance. Only gradually do these classifications lose their importance and yield to a conception which seeks to derive the same laws for all these fields, and to classify the whole field on the basis of other, essentially functional, differences.

The Concept of Law. Aristotle's classes are abstractly defined as the sum total of those characteristics which a group of objects have in common. This circumstance is not merely a characteristic of Aristotle's logic, but largely determines his conception of *lawfulness* and *chance*, which seems to me so important to the problems of contemporary psychology as to require closer examination.

For Aristotle those things are lawful, conceptually intelligible, which occur *without exception*. Also, and this he emphasizes particularly, those are lawful which occur *frequently*. Excluded from the class of the conceptually intelligible as mere chance are those things which occur only *once*, individual events as such. Actually since the behavior of a thing is determined by its essential nature, and this essential nature is exactly the abstractly defined class (*i.e.*, the sum total of the common characteristics of a whole group of objects), it follows that each event, as a particular event, is chance, undetermined. For in these Aristotelian classes individual differences disappear.

The real source of this conception may lie in the fact that for Aristotelian physics not all physical processes possess the lawful character ascribed to them by post-Galileian physics. To the young science of physics the universe it investigated appeared to contain as much that was chaotic as that was lawful. The lawfulness, the intelligibility of physical processes was still narrowly limited. It was really present only in certain processes, for example, the courses of the stars, but by no means in all the transitory events of the earth. Just as for other young sciences, it was still a question for physics, whether physical

[1] R. Sommer, Über Persönlichkeitstypen, *Ber. Kong. f. exper. Psychol.*, 1925.
[2] Lewin, *Die Entwicklung der experimentellen Willenspsychologie und die Psychotherapie*. S. Hirzel, Leipzig, 1929

والكدر) ، أو الامزجة ، أو الحوافز ، فان مثل هذه التصنيفات الثنائية[1] المماثلة لتصنيفات أرسطو ماتزال حتى اليوم عظيمة الدلالة • وبالتدرج فقط فقدت هذه التصنيفات أهميتها مستسلمة لتصور يسعى للبلوغ الى نفس القوانين لكل هذه المجالات ، والى تصنيف الحقل كله على اساس فروق أخرى هى بشكل أساسى وظيفية •

مفهوم القانون

ان اصناف (فئات) أرسطو هى بشكل تجريدى يجرى تعريفها على أنها حاصل جمع للخصائص التى تكون مشتركة فى مجموعة من الاشياء • وهذا الوضع ليس فقط مخصصا لمنطق أرسطو ، ولكنه الى حد كبير يحدد تصوره عن " القانونية " و " الصدفة "، مما يبدو لى من الاهمية لمشكلات علم النفس المعاصر بحيث يتطلب فحصا عن قرب بدرجة أكبر •

فبالنسبة الى أرسطو فان الاشياء تكون قانونية ، ومن الناحية التصورية تتسم بالمعقولية ، طالما تحدث " بغير استثناء " • وايضا ـ وهذا يلح عليه بشكل خاص ـ فان الأشياء تكون قانونية طالما تحدث بشكل متواتر " • ويستبعد من النصف (من حيث أنه يتسم من الناحية التصورية بالمعقولية) بحسبانه مجرد صدفة ، تلك الاشياء التى لاتحدث الا " مرة واحدة " ، والأحداث الفردية من حيث هى كذلك • وفى الواقع طالما أن سلوك شئ ما يرجع بتحديده الى الطبيعة الاساسية لهذا الشئ ، وهذه الطبيعة الاساسية هى على وجه الدقة الصنف الذى يتم تعريفه بشكل تجريدى (أى حاصل جمع الخصائص المشتركة لمجموعة بأسرها من الاشياء) ، فانه ينتج عن ذلك أن كل حادثة[2] من حيث هى حادثة فردية ، هى صدفة ، لاترجع بتحديدها الى شئ • ذلك انه فى هذه الاصناف (الفئات) الارسطالية تختفى الفروق الفردية •

والمصدر الحقيقى لهذا التصور ربما يكمن فى أنه بالنسبة الى الفيزيائيات الارسططالية ليست كل العمليات الفيزيائية تملك طابع القانونية ، هذا الذى تنسبه اليها الفيزيائيات" بعد ـ الجاليلية " • فبالنسبة الى العالم الناشئ للفيزيائيات كان الكون الذى يبحثه يبدو مشتملا على أشياء تتسم بالعمائية بقدر مايشتمل على أشياء تتسم بالقانونية • فقانونية ومعقولية العمليات الفيزيائية كانت ماتزال محدودة فى نطاق ضيق • كانت لاتتوفر فى الواقع الا فى بعض عمليات ، وعلى سبيل المثال ، مدارات النجوم ، لكنها لم تكن تتوفر بحال فى كل الاحداث العارضة للارض • وتماما كما هو الشأن بالنسبة الى العلوم الاخرى الناشئة كان السؤال مايزال قائما بالنسبة الى الفيزيائيات ، عما أن كان ـ

---

(١) ثنائيات • (المترجم)

(٢) بمعنى واقعة • (المترجم)

processes were subject to law and if so how far. And this circumstance exercised its full effect on the formation of physical concepts, even though in philosophical principle the idea of general lawfulness already existed. In post-Galileian physics, with the elimination of the distinction between lawful and chance events, the necessity also disappeared of proving that the process under consideration was lawful. For Aristotelian physics, on the contrary, it was necessary to have criteria to decide whether or not a given event was of the lawful variety. Indeed the regularity with which similar events occurred in nature was used essentially as such a criterion. Only such events, as the celestial, which the course of history proves to be regular, or at least frequent, are subject to law; and only in so far as they are frequent, and hence more than individual events, are they conceptually intelligible. In other words, the ambition of science to understand the complex, chaotic, and unintelligible world, its faith in the ultimate decipherability of this world, were limited to such events as were certified by repetition in the course of history to possess a certain persistence and stability.

In this connection it must not be forgotten that Aristotle's emphasis on frequency (as a further basis for lawfulness, besides absolute regularity) represents, relative to his predecessors, a tendency toward the extension and concrete application of the principle of lawfulness. The "empiricist," Aristotle, insists that not only the regular but the frequent is lawful. Of course, this only makes clearer his antithesis of individuality and law, for the individual event as such still lies outside the pale of the lawful and hence, in a certain sense, outside the task of science. Lawfulness remains limited to cases in which events recur and classes (in Aristotle's abstract sense) reveal the essential nature of the events.

This attitude toward the problem of lawfulness in nature, which dominated medieval physics and from which even the opponents of Aristotelian physics, such as Bruno and Bacon, escaped only gradually, had important consequences in several respects.

العمليات الفيزيائية تخضع لقانون وان كان كذلك فالى أى حد . وهذا الوضع قد مارس تأثيره الكامل على تكون المفاهيم الفيزيائية ، حتى على الرغم من أن فكرة القانونية العامة كانت موجودة بالفعل من قبل كمبدأ فلسفى . ففى الفيزيائيات "بعد الجاهلية" ، ومع استبعاد التمييز بين أحداث قانونية وأحداث صدفية ، اختفت أيضا ضرورة التدليل على أن العملية موضع التناول ، وهى قانونية . فعلى العكس فى الفيزيائيات الارسطاليسية ، كان من الضرورى توفر محكات للبت فيما أن كان حدث بعينه أو لم يكن ، من التشكيلة القانونية . وفى الواقع فان الانتظامية التى كانت تقع بها أحداث متماثلة فى الطبيعة كانت بشكل اساسى تستخدم كمحك من هذا القبيل - فقط مثل هذه الاحداث ، كالسماوية ، والتى يثبت مسار التاريخ أنها انتظامية [1] ، أو على الاقل أنها متواترة ، تكون خاضعة للقانون ، وفقط بقدر ماتكون متواترة ، (ومن ثم تبتعد عن أن تكون أحداثا فردية) ، انما تتسم من الناحية التصورية بالمعقولية . وبكلمات أخرى فان طموح العلم الى أن يفهم العالم المعقد المعاش ، اللامتاح للمعقولية ، وايمانه بامكانية فهم طلاسم هذا العالم آخر الامر ، وانما كانا يقتصران على مثل هذه الاحداث التى يتأكد بالتكرار فى مسار التاريخ بأنها تنطوى على مثابرة ورسوخ .

وفى هذا الصدد لاينبغى أن ننسى أن الحاح أرسطو بالأهمية على التواتر (كأساس آخر للقانونية ، بالاضافة الى الانتظامية المطلقة) يمثل ، بالقياس الى السابقين عليه ، ميلا الى التوسع والعيانية فى تطبيق مبدأ القانونية . ان أرسطو "الامبريقى" يصر ليس فقط على أن "الانتظامى" بل أيضا "المتواتر" هو قانونى . وبالطبع فان ذلك لايجعل من الأوضح لديه تلك "التناقضية" بين الفردية والقانون ، وذلك لان الحادثة الفردية من حيث هى كذلك ماتزال ترقد خارج حظيرة ماهو قانونى ومن ثم - بمعنى ما - خارج مهمة العلم . فالقانونية تبقى قاصرة على الحالات التى تعاود فيها الاحداث الحدوث ، والاصناف (بالمعنى التجريدى لأرسطو تكشف عن الطبيعة الأساسية للاحداث .

وهذا الاتجاه من مشكلة القانونية فى الطبيعة والذى كان مهيمنا على فيزيائيات القرون الوسطى والذى لم يفلت منه الا بالتدريج حتى أولئك الخصوم للفيزيائيات الارسطالية ، من امثال برونو وبيكون ، كانت له نتائج هامة ترتبت عليه من جملة أنحاء .

---

(1) المقصود هنا انتظامية الوقوع ، دائما أبدا - ما يعتبر بمثابة أعلى درجة ممكنة للتواتر . أنظر فيما يلى . (المترجم) .

As will be clear from the preceding text, this concept of lawfulness had throughout a quasi-statistical character. Lawfulness was considered as equivalent to the highest degree of generality, as that which occurs very often in the same way, as the extreme case of regularity, and hence as the perfect antithesis of the infrequent or of the particular event. The statistical determination of the concept of lawfulness is still clearly marked in Bacon, as when he tries to decide through his *tabula praesentia* whether a given association of properties is real (essential) or fortuitous. Thus he ascertains, for example, the numerical frequency of the cases in which the properties warm and dry are associated in everyday life. Less mathematically exact, indeed, but no less clear is this statistical way of thinking in the whole body of Aristotelian physics.

At the same time—and this is one of the most important consequences of the Aristotelian conception—regularity or particularity was understood entirely in *historical* terms.

The complete freedom from exceptions, the "always" which is found also in the later conceptions of physical lawfulness, still has here its original connections with the frequency with which similar cases have occurred in the actual, historical course of events in the everyday world. A crude example will make this clearer: light objects, under the conditions of everyday life, relatively frequently go up; heavy objects usually go down. The flame of the fire, at any rate under the conditions known to Aristotle, almost always goes upward. It is these frequency rules, within the limits of the climate, mode of life, etc., familiar to Aristotle, that determine the nature and tendency to be ascribed to each class of objects and lead in the present instance to the conclusion that flames and light bodies have a tendency upward.

Aristotelian concept formation has yet another immediate relation to the geographically-historically given, in which it resembles, as do the valuative concepts mentioned above, the thinking of primitive man and of children.

When primitive man uses different words for "walking," depending upon its direction, north or south, or upon the sex

وكما يتضح من السياق السابق ، فان مفهوم القانونية هذا كان له دائما طابعـــا شبه الحطاقي • فالقانونية كانت تعتبر مرادفة لأعلى درجة من العمومية ، لذلك الـــذى يحديد غالبا جدا بنفس الطريقة ، لتلك الحالة القصوية من الانتظامية ، ومن ثم النقيـــض التام للغير المتواتر أو للحادث الفردى • والتحديد الاحصائى لمفهوم القانونية كان مايزا ل ملحوظا بشكل واضح عند بيكون ، ما يظهر عندما يحاول أن يبت فيما ان كان " ترابط بعينه مـــن الخلائص" واقعيا (أساسيا) أو صدفيا • وهكذا فانه يتحقق على سبيل المثال ، من التواتـــر الرقلي للحالات التى تترابط فيها الخاصيتان عالى" وجاف فى الحياة اليومية وأقل دقـــة من المثالية الرياضية فى الحقيقة ، ولكن ليست أقل وضوحا تلك الطريقة الاحصائيـــة فى التفكير التى تسود كل انحاء الفيزيائيات الارسطالية •

وفى نفس الوقت ــ وتلك نتيجة من أعظم النتائج أهمية للتصور الارسطالـــى فان الانتظامية أو الخصوصية كانت تفهم كلية بلغة " تاريخية " •

والخلو التام من الاستثناءات ، و " دائما " ما يوجد ايضا فى التصورات اللاحقـــة للقانونية الفيزيائية ، مايزال ينطوى هنا على ارتباطات الاصلية مع التواتر الذى حدثت به حالات مماثلة فى المسار الفعلى ، التاريخى للاحداث فى عالم الحياة اليومية • ومثال من شأنه أن يجعل ذلك أكثر وضوحا : الاشياء الخفيفة تحت شروط الحياة اليومية ــ نسبيا بشكل متواتر ــ تمضى الى أعلى ، والاشياء الثقيلة عادة تمضى الى أسفل• لهـــب النار على أية حال تحت الشروط المعروفة لارسطو ، تقريبا دائما يصعد على أعلى • انها قواعـــد التواتر هذه ــ ضمن حدود المناخ واسلوب الحياة ، •••• الخ المألوفة لأرسطو ــ التـــى تحدد الطبيعة والنزعة اللتين ينبغى نسبتهما الى كل صنف من الاشياء ، وتؤدى بنـــا فى المثال الحالى الى النتيجة التى مؤداها أن اللهب والاجسام الخفيفة تنطوى علـــى نزعة للمضى الى أعلى •

" وتكون ــ المفهوم "(١) الارسطالى مايزال ينطوى على علاقة مباشـــــرة أخرى بالنسبة لمعطيات الجغرافية التاريخية وهو فى ذلك يشبه ــ على نحو مانتعـــل المفاهيم القيمية السابقة الذكر ــ تفكير الرجل البدائى والأطفال •

فعندما يستخدم رجـل بدائـى كلمات مختلفـــة " للمضى " ، تبعـــا لاتجاهـــه ، الى الشمــال أو الى الجنـــوب ، أو تبعا لجنـــس •••• •• •

---

(١) تكوين المفهوم • (المترجم)

11

of the walker, or upon whether the latter is going into or out of a house,[1] he is employing a reference to the historical situation that is quite similar to the putatively absolute descriptions (upward or downward) of Aristotle, the real significance of which is a sort of geographic characterization, a place definition relative to the earth's surface.[2]

The original connection of the concepts with the "actuality," in the special sense of the given historic-geographic circumstances, is perhaps the most important feature of Aristotelian physics. It is from this almost more even than from its teleology that his physics gets its general anthropomorphic character. Even in the minute particulars of theorizing and in the actual conduct of research it is always evident not only that physical and normative concepts are still undifferentiated, but that the formulation of problems and the concepts that we would today distinguish, on the one hand, as historic[3] and, on the other, as nonhistoric or systematic are inextricably interwoven. (Incidentally, an analogous confusion exists in the early stages of other sciences, for example in economics.)

From these conceptions also the attitude of Aristotelian physics toward lawfulness takes a new direction. So long as lawfulness remained limited to such processes as occurred repeatedly in the same way, it is evident not only that the young physics still lacked the courage to extend the principle to all physical phenomena, but also that the concept of lawfulness

[1] L. Lévy-Bruhl, *La Mentalité primitive*, Alcan, Paris, 1922, (5th ed., 1927).

[2] In the following pages we shall frequently have to use the term "historic-geographic." This is not in common usage, but it seems to me inaccurate to contrast historic and systematic questions. The real opposition is between "type" (of object, process, situation) and "occurrence." And for concepts that deal with occurrence, the reference to absolute geographic space-coordinates is just as characteristic as that to absolute time-coordinates by means of dates.

At the same time, the concept of the geographic should be understood in such a general sense as to refer to juxtaposition, correlative to historical succession, and as to be applicable to psychical events.

[3] There is no term at present in general use to designate nonhistoric problem formulations. I here employ the term "systematic," meaning thereby, not "ordered," but collectively nonhistoric problems and laws such as those which form the bulk of present-day physics (see p. 12).

الشخص الذى يقوم بالمشى ، أو تبعا لما أن كان هذا الاخير يتجه " داخلا " الى أو " خارجا " من " منزل " ، فانه يستخدم اشارة (موجهية) انى الموقف التاريخى مما يماثل تماما الاوصاف المطلقة المفترضة عند أرسطو (الى أعلى أو الى اسفل) ، والتى تنحصر دلالتها الواقعية فى نوع من التخصيص الجغرافى ، فى تحديد لمكان بالنسبة الى سطح الارض (١) .

والارتباط الاصلى للمفاهيم بالتحقق (الواقع الفعلى) ، وذلك بمعنى المعطيات التاريخية ـ الجغرافية ، ربما يكون أعظم المعالم أهمية للفيزيائيات الارسطالية، والى هذا ـ بأكثر تقريبا حتى منه الى غائيتها ـ انما يرجع الطابع التأنيسى العام لفيزيائياته . وحتى فى الخصوصيات الدقيقة للتنظير وفى الخطوات الفعلية للبحث من الواضح دائما ليس فقط أن المفاهيم الفيزيائية والمعيارية ماتزال غير متمايزة ، ولكن أيضا أن صياغة المشكلات ، والمفاهيم التى يتحتم اليوم يتمييزها ، بحسبان الاولى تاريخية (٢) بينما الثانية غير تاريخية أو نظامية فانها متداخلة فى نسيج واحد من المستحيل عزلها . (وبشكل عارض ، يوجد خلط مماثل فى المرحلة الباكرة للعلوم الاخرى ، وعلى سبيل المثال على الاقتصاد) .

ومن هذه التصورات أيضا يتخذ اتجاه الفيزيائيات الارسطالية من القانونية، وجهة جديدة . فطالما بقيت القانونية قاصرة على مثل هذه العمليات التى حدثت بشكل متكرر بنفس الطريقة ، فمن الواضح ليس فقط ان الفيزيائيات الناشئة كانت ماتزال تعوزها الشجاعة لتمتد بالمبدأ الى كل الظواهر الفيزيائية ، بل ايضا أن مفهوم القانونية

---

(١) فى الصفحات التالية سوف يكون علينا بشكل متواتر أن نستخدم المصطلح " تاريخى ـ جغرافى " . وهو ليس ببساطة استخدام شائع ، ولكن يبدو لى من غير الدقيق أن نعارض مابين "التاريخية" والنظامية . فالتعارض الحقيقى هو مابين " نمط " لـ(شئ ، عملية ، موقف) ، و" الحادثة " (الصدفة) . بالنسبة الى المفاهيم التى تتعامل مع الحدوث (الحادثة) فان الاشارة الى احداثيات ـ المكان الجغرافى المطلق هى مميزة تماما كالاشارة الى احداثيات ـ الزمان المطلق عن طريق تواريخ الايام ...
وفى نفس الوقت ، فان مفهوم " جغرافى يتحتم فهمه بمعنى من العمومية بحيث يشير الى التجاور المكانى ، فى ترابطه مع التتابع التاريخى ، وبحيث يمكن تطبيقه على الاحداث الفيزيائية .

(٢) لايوجد فى الاستخدام الشائع حاليا مصطلح للدلالة على الصياغات غير التاريخية للمشكلة ومن هنا فانى استخدم مصطلح " نظامى " ، مشيرا بذلك لا الى المشكلات التى تنطوى على انتظام بل الى المشكلات والقوانين التى هى بشكل جمعى غير تاريخية ، من قبيل تلك التى تشكل كل فيزيائيات الوقت الحاضر (أنظر صفحة ١٢) .

still had a fundamentally historic, a temporally particular significance. Stress was laid not upon the general validity which modern physics understands by lawfulness, but upon the events in the historically given world which displayed the required stability. The highest degree of lawfulness, beyond mere frequency, was characterized by the idea of always, eternal (ἀεί as against ἐπὶ τὸ πολύ). That is, the stretch of historic time for which constancy was assumed was extended to eternity. General validity of law was not yet clearly distinguished from eternity of process. Only permanence, or at least frequent repetition, was proof of more than momentary validity. Even here in the idea of eternity, which seems to transcend the historical, the connection with immediate historic actuality is still obvious, and this close connection was characteristic of the "empiricist" Aristotle's method and concepts.

Not only in physics but in other sciences—for example, in economics and biology—it can be clearly seen how in certain early stages the tendency to empiricism, to the collection and ordering of facts, carries with it a tendency to historical concept formation, to excessive valuation of the historical.

Galileian Physics.

From the point of view of this sort of empiricism the concept formation of Galileian and post-Galileian physics must seem curious and even paradoxical.

As remarked above, the use of mathematical tools and the tendency to exactness, important as they are, cannot be considered the real substance of the difference between Aristotelian and Galileian physics. It is indeed quite possible to recast in mathematical form the essential content of, for example, the dynamic ideas of Aristotelian physics (see page 16). It is conceivable that the development of physics could have taken the form of a mathematical rendition of Aristotelian concepts such as is actually taking place in psychology today. In reality, however, there were only traces of such a tendency, such as Bacon's quasi-statistical methods, mentioned above.

كان مايزال ينطوى بشكل اساسى على دلالة تاريخية ، خصوصية زمانية • لم يكن الاهتمام ينصب على الصدق العام هذا الذى تفهمه الفيزيائيات العصرية " بالقانونية " ، بل كان ينصب على الاحداث فى العالم " المعطى " تاريخيا والتى كانت تكشف عن الرسوخ المطلوب • وأعلى درجة من القانونية ، تتخطى مجرد التواتر ، كان يتم تخصيصها بفكرة " دائما " ، سرمديا • ذلك هو الامتداد للزمان التاريخى والذى كان يفترض له الثبات على امتداد الزمن بشكل أبدى • لم يكن الصدق العام للقانون قد تميز بعد بشكل واضح من أبدية العملية • وفقط كان " الدوام " أو على الاقل التكرار المتواتر دليلا على أكثر من مجرد صدفة (وقتى) • وحتى هنا فى فكرة " أبدية " ، والتى تبدو نهائية على ماهو تاريخى ، فان الارتباط مع التحقق التاريخى الفعلى مايزال واضحا ، وهذا الارتباط الوثيق كان مميزا " لامبريقية " منهج أرسطو ومفاهيمه •

وليس فقط فى الفيزيائيات ولكن أيضا فى علوم أخرى – على سبيل المثال فى علم الاقتصاد والبيولوجيا – يمكن أن نرى بوضوح كيف أن النزعة الى الامبريقية ، والى تجميع الوقائع وترتيبها – فى بعض المراحل الباكرة – تحمل معها نزعة الى " تكوين – مفهوم تاريخى ، والى مغالاة فى تقدير ماهو تاريخى •

الفيزيائيات الجاليلية

من وجهة نظر هذا النوع من الامبريقية فان " تكوين – المفهوم " فى الفيزيائيات الجاليلية و " بعد – الجاليلية " ينبغى أن يبدو " مستلفتا للانتباه بغرابته " و " متناقضا فى ظاهره " •

وكما أشرنا الى ذلك من قبل فان استخدام الادوات الرياضية والنزعة الى الدقة الصارمة " ، كائنا ماكانت أهميتها ، لايمكن اعتبارهما اللب الحقيقى للاختلاف بين الفيزيائيات الارسطاطالية والجاليلية • فمن الممكن تماما فى الواقع أن نقوم باعادة صياغة الارسطاطالية (أنظر صفحة ١٦) • ومن الممكن أن نتصور أن تطور الفيزيائيات كان من أن يتخذ صورة الترجمة الرياضية للمفاهيم الارسطاطالية على نحو مايحدث اليوم بالفعل فى علم النفس • وعلى أية حال فلم يكن هناك فى الواقع الا أثار لمثل هذه النزعة من قبيل طرائق يكون شبه الاحصائية السابقة الذكر

The main development took another direction and proved to be a change of content rather than a mere change of form.

The same considerations apply to the exactness of the new physics. It must not be forgotten that in Galileo's time there were no clocks of the sort we have today, that these first became possible through the knowledge of dynamics founded upon Galileo's work.[1] Even the methods of measurement used by Faraday in the early investigations of electricity show how little exactness, in the current sense of precision to such and such a decimal place, had to do with these critical stages in the development of physics.

The real sources of the tendency to quantification lie somewhat deeper, namely in a new conception by the physicist of the nature of the physical world, in an extension of the demands of physics upon itself in the task of understanding the world, and in an increased faith in the possibility of their fulfillment. These are radical and far-reaching changes in the fundamental ideas of physics, and the tendency to quantification is simply one of their expressions.

Homogenization. The outlook of a Bruno, a Kepler, or a Galileo is determined by the idea of a comprehensive, all-embracing unity of the physical world. The same law governs the courses of the stars, the falling of stones, and the flight of birds. This homogenization of the physical world with respect to the validity of law deprives the division of physical objects into rigid abstractly defined classes of the critical significance it had for Aristotelian physics, in which membership in a certain conceptual class was considered to determine the physical nature of an object.

Closely related to this is the loss in importance of logical dichotomies and conceptual antitheses. Their places are taken by more and more fluid transitions, by gradations which deprive the dichotomies of their antithetical character and represent in logical form a transition stage between the class concept and the series concept.[2]

[1] E. Mach, *Die Mechanik in ihrer Entwicklung*, Leipzig, 1921.
[2] E. Cassirer, *op. cit.*

ولكن التطور الرئيسى اتخذ وجهة أخرى وكشف تغييرا للمضمون بأكثر منه مجرد تغيير للصورة والشكل .

ونفس هذه الاعتبارات تصدق على " الدقة الصارمة " للفيزيائيات الجديدة . ولا ينبغى أن ننسى أنه لم تكن هناك أيام جاليليو ساعات من النوع الذى لدينا اليوم ، وأن هذه الساعات أصبحت لأول مرة ممكنة بفضل معرفتنا بالديناميات ، هذه التى تستند الى أعمال جاليليو . وحتى وسائل القياس التى استخدمها فاراداى فى الابحاث الباكرة عن الكهرباء تكشف عن مدى ضآلة الدقة الصارمة " ، (بالمعنى الحالى للدقة والذى يبلغ الكسور المتناهية فى الضآلة) التى كان عليها أن تترك أثرها فى تلك المراحل الحرجة من تطور الفيزيائيات .

والمصادر الحقيقية للنزعة الى التكميم تكمن على مستوى أعمق بعض الشئ وعلى التحديد فى تصور جديد للفيزيائى عن طبيعة العالم الفيزيائى ، وفى توسيع لمطالب الفيزيائيات تجاه نفسها من حيث مهمة فهم العالم ، وفى ايمان متزايد بامكانية تحقيق هذه المطالب . وهذه التغييرات جذرية و "بعيدة المدى " فى الافكار الاساسية للفيزيائيات والنزعة الى التكميم هى ببساطة مظهر من مظاهر هذه التغييرات .

المجانسة

ان الطريقة العامة عند برونو وكبلر وجاليليو فى النظر الى الاشياء انما تتحدد بفكرة الوحدة الكلية الشاملة عن العالم الفيزيائى . فنفس القانون يحكم مسارات النجوم وسقوط الاحجار ، وطيران الطيور . وهذه المجانسة للعالم الفيزيائى — من زاوية صدق القانون — انما تحرم عملية تقسيم الاشياء الفيزيائية (الى أصناف جامدة ومحددة بشكل تجريدى) من تلك الدلالة الخطيرة التى كانت لها فى الفيزيائيات الارسطاطالية ، حيث العضوية فى صنف تصورى بعينه كانت تعتبر على أنها هى التى تحدد الطبيعة الفيزيائية للشئ .

ويرتبط بذلك ، بشكل وثيق ، تفقد الثنائيات المنطقية ، و " النقائض " التصورية أهميتها . فمكانها تحتله أكثر فأكثر تحولات انتقالية سيالة ، وتدرجات ، مما يجرد الثنائيات من طابعها التناقضى ويمثل من حيث الشكل المنطقى مرحلة انتقالية بين مفهوم " الصنف " ومفهوم السلسلة .(١)

(١) مرادفة ، المفاهيم التسلسلية أو السلسلية أى التى تسمح بالتغير المتصل فى تدرجات انتقالية . (المترجم) .

Genetic Concepts. This dissolution of the sharp antitheses of rigid classes was greatly accelerated by the coeval transition to an essentially functional way of thinking, to the use of conditional-genetic concepts. For Aristotle the immediate perceptible appearance, that which present-day biology terms the *phenotype*, was hardly distinguished from the properties that determine the object's dynamic relations. The fact, for example, that light objects relatively frequently go upward sufficed for him to ascribe to them an upward tendency. With the differentiation of phenotype from *genotype* or, more generally, of descriptive from conditional-genetic[1] concepts and the shifting of emphasis to the latter, many old class distinctions lost their significance. The orbits of the planets, the free falling of a stone, the movement of a body on an inclined plane, the oscillation of a pendulum, which if classified according to their phenotypes would fall into quite different, indeed into antithetical classes, prove to be simply various expressions of the same law.

Concreteness. The increased emphasis upon the quantitative which seems to lend to modern physics a formal and abstract character is not derived from any tendency to logical formality. Rather, the tendency to a full description of the concrete actuality, even that of the particular case, was influential, a circumstance which should be especially emphasized in connection with present-day psychology. The particular object in all departments of science not only is determined in kind and thereby qualitatively, but it possesses each of its properties in a special intensity or to a definite degree. So long as one regards as important and conceptually intelligible only such properties of an object as are common to a whole group of objects, the individual differences of degree remain without scientific relevance, for in the abstractly defined classes these differences more or less disappear. With the mounting aspirations of research toward an understanding of actual events and particular cases, the task of describing the differences

[1] LEWIN, *Gesetz und Experiment in der Psychologie*, Weltkreis verlag, Berlin-Schlachtensee, 1927.

وهذا التلاشي للاصناف الجامدة بنقائضيتها الصارمة قد زاد كثيرا من التعجيل به ذلك التحول المتزامن الى طريقة فى التفكير وظيفية بشكل اساسى ، الى استخدام مفاهيم " تشريطية ـ نشوئية " • فبالنسبة الى أرسطو كان المظهر المباشر " المتاح للادراك "، (هذا الذى يطلق عليه علم البيولوجيا اليوم مصطلح " النمط الظاهرى " (الفينوتيب) يتميز بالكاد من الخصائص التى تحدد العلاقات الدينامية للشئ • وعلى سبيل المثال ، فان الواقعة التى مؤداها أن الاشياء الخفيفة ـ بشكل متواتر نسبيا ـ تمضى الى أعلى كانت كافية بالنسبة اليه لينسب اليها نزعة للمضى الى أعلى • ومع تمايز النمط الظاهرى (الفينوتيب) عن النمط الاصلى (النشوئى) (الجينوتيب) ، أو بشكل أكثر عمومية مع تمايز المفاهيم الوصفية عن المفاهيم التشريطية النشوئية وانتقال التركيز بالاهمية الى المفاهيم الاخيرة ، فان كثيرا من التمييزات الصنفية القديمة فقدت دلالتها • ان مسارات الكواكب السيارة والسقوط الطليق لحجر ، وحركة جسم ماعلى سطح مائل، وتذبذب البندول ، والتى اذا ماصنفت تبعا لأنماطها الظاهرية (الفينوتيبات) سوف تتوزع فى اصناف متباينة تماما ، بل فى الواقع فى أصناف نقائضية ، كلها تتكشف أنها ببساطة مظاهر متباينة لنفس القانون •

العيانية

ان الالحاح المتزايد بالاهمية على " الكمى " والذى يضفى على الفيزيائيات المعاصرة طابعا شكليا وتجريديا ليس مشتقا من أية نزعة الى الشكلية المنطقية • وبالحرى كانت النزعة الى الوصف المكتمل للتحقق العيانى ، بل وحتى الى الوصف المكتمل للحالة الخصوصية ، عظيمة التأثير ، وهذا الوضع يتحتم بشكل خاص أن نلح على أهمية بصدد الحديث عن علم النفس اليوم • فالشئ الفردى فى كل فروع العلم ليس فقط هو محدد فى نوعه ومن ثم من الناحية الكيفية ، بل ايضا يملك كل خاصية من خصائصه بشدة خاصة أو بدرجة محددة • وطالما أن المرء لاينظر باعتباره جليا و " متاحا للمعقولية من الناحية التصورية " الا الى مثل هذه الخصائص للشئ من حيث هى مشتركة فى مجموعة بأسرها من الاشياء فان الفروق الفردية فى الدرجة تظل بغير قيمة علمية وذلك لانه فى الاصناف المحددة بشكل تجريدى تختفى هذه الفروق بدرجة أو أخرى • ومع التطلعات المتصاعدة للبحث الى فهم الاحداث الواقعية والحالات الفردية ، فان مهمة وصف الفروق

of degree that characterized individual cases had necessarily to increase in importance and finally required actual quantitative determination.

It was the increased desire, and also the increased ability, to comprehend concrete particular cases, and to comprehend them fully, which, together with the idea of the homogeneity of the physical world and that of the continuity of the properties of its objects, constituted the main impulse to the increasing quantification of physics.

Paradoxes of the New Empiricism. This tendency toward the closest possible contact with actuality, which today is usually regarded as characteristic and ascribed to an antispeculative tendency, led to a mode of concept formation diametrically opposed to that of Aristotle, and, surprisingly enough, involved also the direct antithesis of his "empiricism."

The Aristotelian concepts show, as we have seen above, an immediate reference to the historically given reality and to the actual course of events. This immediate reference to the historically given is lacking in modern physics. The fact, so decisively important for Aristotelian concepts, that a certain process occurred only once or was very frequently or invariably repeated in the course of history, is practically irrelevant to the most essential questions of modern physics.[1] This circumstance is considered fortuitous or merely historical.

The law of falling bodies, for example, does not assert that bodies very frequently fall downward. It does not assert that the event to which the formula $s = \frac{1}{2}gt^2$ applies, the "free and unimpeded fall" of a body, occurs regularly or even frequently in the actual history of the world. Whether the event described by the law occurs rarely or often has nothing to do with the law. Indeed, in a certain sense, the law refers only to cases that are never realized, or only approximately realized, in the actual course of events. Only in experiment, that is, under artificially constructed conditions, do cases occur which approximate the event with which the law is concerned. The

[1] So far as it is not immediately concerned with an actual "History of the Heavens and the Earth" or a geography.

فى الدرجة والتى كانت تخصص الحالات الفردية كان عليها بالضرورة أن تزداد فى الأهمية وأخيرا تطلبت تحديدا كميا فى الواقع .

لقد كانت الرغبة المتزايدة فى ، وأيضا القدرة المتزايدة على ، فهم الحالات الفردية العيانية ، وفهمها بشكل مكتمل ، هما اللتان (مع فكرة مجانسة العالم الفيزيائى وفكرة التدرجية المتصلة لخصائص أشيائه) شكلتا الحافز الرئيسى الى التكميم المتزائد للفيزيائيات .

التناقضات الظاهرية فى الامبريقية الجديدة

هذه النزعة الى أوثق علاقة ممكنة مع التحقيق الفعلى والتى عادة ماتعتبر اليوم مخصصة ـ وتنسب ـ لنزعة " ضد ـ تأملية " ، قد أدت الى أسلوب فى " تكوين ـ المفهوم " يتعارض تماما مع أسلوب تكوين المفهوم عند أرسطو ، وكان ذلك أيضا يتضمن ـ بشكل يبعث على الدهشة بدرجة كافية ـ النقيض المباشر " لامبريقية " .

ان المفاهيم الارسططالية تكشف ـ كما رأينا من قبل ـ عن اشارة مباشرة الى " الواقع المعطى " تاريخيا والى المسار الفعلى للاحداث . وهذه الاشارة المباشرة الى " المعطى " تاريخيا لاتوجد فى الفيزيائيات العصرية . والمسألة الحاسمة الاهمية بالنسبة الى المفاهيم الارسططالية ، ونعنى أن عملية بعينها لم تحدث الا مرة واحدة أو تكررت بشكل جد متواتر أو تكررت بشكل دائم فى مسار التاريخ ، هذا المسألة هى من الناحية العملية عديمة الصلة بأعظم الاسئلة اساسية فى الفيزيائيات العصرية [1] . فهذا الوضع يعتبر عارضا أو تاريخيا ليس غير .

فقانون الاجسام الساقطة ، على سبيل المثال ، لايؤكد أن الاجسام بشكل جد متواتر تسقط الى أسفل . انه لايؤكد أن الحادثة التى تصدق عليها الصيغة (السقوط الطليق غير المعوق لجسم) تحدث بشكل انتظامى أو حتى بشكل متواتر فى التاريخ الفعلى للعالم . فسيان كانت الحادثة التى يصفها القانون تحدث نادرا أو غالبا فليس لهذا من صلة بالقانون . وفى الواقع فان القانون ـ بمعنى ما ـ لايشير الا الى الحالات التى لم تتحقق قط أو فقط التى تحققت بشكل تقريبى فى المسار الفعلى للاحداث . وفقط فى التجريب ، بمعنى ، تحت الشروط القائمة بشكل مصطنع ، تحدث الحالات التى تقترب من الحادث (الواقعة) الذى ينصب عليه القانون .

---

(١) بقدر ماتكون غير منصبة بشكل مباشر على التحقق الفعلى " لتاريخ السموات والارض " أو الجغرافيا .

propositions of modern physics, which are often considered to be antispeculative and empirical, unquestionably have in comparison with Aristotelian empiricism a much less empirical, a much more constructive character than the Aristotelian concepts based immediately upon historical actuality.

In Psychology

Here we are confronted by questions which, as problems of actual research and of theory, have strongly influenced the development of psychology and which constitute the most fundamental grounds of its present crisis.

The concepts of psychology, at least in certain decisive respects, are thoroughly Aristotelian in their actual content, even though in many respects their form of presentation has been somewhat civilized, so to speak. The present struggles and theoretical difficulties of psychology resemble in many ways, even in their particulars, the difficulties which culminated in the conquest over Aristotelian ways of thinking in physics.

Aristotelian Concepts.

Fortuitousness of the Individual Case. The concept formation of psychology is dominated, just as was that of Aristotelian physics, by the question of regularity in the sense of frequency. This is obvious in its immediate attitude toward particular phenomena as well as in its attitude toward lawfulness. If, for example, one show a film of a concrete incident in the behavior of a certain child, the first question of the psychologist usually is: "Do all children do that, or is it at least common?" And if one must answer this question in the negative the behavior involved loses for that psychologist all or almost all claim to scientific interest. To pay attention to such an "exceptional case" seems to him a scientifically unimportant bit of folly.

The real attitude of the investigator toward particular events and the problem of individuality is perhaps more clearly expressed in this actual behavior than in many theories. The

ان قضايا الفيزيائيات العصرية ، والتي غالبا ماتعبر " ضد ـ تأملية " وامبريقية ، تشتمل بشكل قاطع على مايمكن مقارنته مع الامبريقية الارسطاطالية من حيث مايمسها من طابع أقل امبريقية بكثير ، وأكثر بنائية بكثير مما عليه المفاهيم الارسطاطالية هذه التي تقوم بشكل مباشر على التحقق الفعلي التاريخي .

في علم النفس

هنا نجدنا في مواجهة اسئلة (كمشكلات البحث الفعلي والنظرية) أثرت بشدة على تطور علم النفس ، وتشكل أعظم الاسس اساسية لأزمته الحالية .

ان مفاهيم علم النفس ، على الاقل في بعض جنباتها الحاسمة ، أرسطاطالية بكل معنى الكلمة في خضوعها الفعلي ، حتى وان تكن الصور التي تتخذها هذه المفاهيم في كثير من جنباتها ـ قد طرأ عليها بعد التحضير ، ان جاز القول . فالصراعات والصعوبات النظرية الحالية في علم النفس تشبه من عدة أنحاء ، حتى في تفصيلاتها الفردية ، تلك الصعوبات التي بلغت الذروة عند التغلب على الاساليب الارسطاطالية للفكر في الفيزيائيات .

المفاهيم الارسطاطالية

صدفية الحالة الفردية

ان " تكوين ـ المفهوم " في علم النفس تحكمه ـ تماما كما كان الامر بالنسبة الى " تكوين ـ المفهوم " في الفيزيائيات الارسطاطالية ـ مسألة الانتظامية بمعنى التواتر . وهذا واضح في اتجاهه المباشر من الظواهر الفردية كما هو واضح في اتجاهه من القانونية . فاذا كان مشهد من فيلم ، على سبيل المثال ، يقدم حادثه عيانية في سلوك طفل بعينه فان السؤال الاول لعالم النفس عادة مايكون : " هل كل الاطفال يفعلون ذلك ، أو هل هذا على الاقل شائع ؟ " . واذا كان يتحتم على الفرد أن يجيب على هذا السؤال بالسلب فان السلوك المعني يفقد بالنسبة الى عالم النفس هذا ، كل أو تقريبا كل حق في ان يحظى باهتمام علمي . فلأن يولي انتباهه الى مثل هذه " الحالة الاستثنائية " فذلك مايبدو له من الناحية العلمية ضربا من الحماقة عديم الاهمية .

ان الاتجاه الحقيقي للباحث من الاحداث الفردية ومن مشكلة الفردية ربما يتبدى بشكل أكثر وضوحا في هذا السلوك الفعلي من جانبه بأكثر منه في عديد من النظريات

individual event seems to him fortuitous, unimportant, scientifically indifferent. It may, however, be some extraordinary event, some tremendous experience, something that has critically determined the destiny of the person involved, or the appearance of an historically significant personality. In such a case it is customary to emphasize the "mystical" character of all individuality and originality, comprehensible only to "intuition," or at least not to science.

Both of these attitudes toward the particular event lead to the same conclusion: that that which does not occur repeatedly lies outside the realm of the comprehensible.

Lawfulness as Frequency. The esteem in which frequency is held in present-day psychology is due to the fact that it is still considered a question whether, and if so how far, the psychical world is lawful, just as in Aristotelian physics this esteem was due to a similar uncertainty about lawfulness in the physical world. It is not necessary here to describe at length the vicissitudes of the thesis of the lawfulness of the psychic in philosophical discussion. It is sufficient to recall that even at present there are many tendencies to limit the operation of law to certain "lower" spheres of psychical events. For us it is more important to note that the field which is considered lawful, not in principle, but in the actual research of psychology—even of experimental psychology—has only been extended very gradually. If psychology has only very gradually and hesitantly pushed beyond the bounds of sensory psychology into the fields of will and affect, it is certainly due not only to technical difficulties, but mainly to the fact that in this field actual repetition, a recurrence of the same event, is not to be expected. And this repetition remains, as it did for Aristotle, to a large extent the basis for the assumption of the lawfulness or intelligibility of an event

As a matter of fact, any psychology that does not recognize lawfulness as inherent in the nature of the psychical, and hence in all psychical processes, even those occurring only once, must have criteria to decide, like Aristotelian physics, whether or not it has in any given case to deal with lawful phenomena.

فالحادثة الفردية (الواقعة الفردية) تبدو بالنسبة اليه صدفية ، عديمة الاهمية ، ومن الناحية العلمية عديمة الدلالة . ومع ذلك فيمكن أن تكون حادثة غير عادية ، أو خبرة مروعة ، أو شيئا أضطلع بشكل حاسم بتحديد مصير الشخص المعنى ، أو ماتبدو عليه شخصية تاريخية هامة . ومن المألوف فى مثل هذه الحالة أن ينصب الالحاح بالاهمية على الطابع " المستتر " لكل فردية وأصالة ، مما لا يتاح فهمه الا " للحدس " ، أو على الأقل لايتاح فهمه للعلم .

وهذان الاتجاهان كلاهما ، من الحادثة الفردية يؤديان الى نفس النتيجة ان هذا الذى لايحدث بشكل متكرر يقع خارج مملكة " المتاح للفهم "

القانونية كتواتر

ان التقدير الذى يحظى به التواتر فى علم النفس اليوم انما يرجع الى أن التساؤل مايزال قائما فيما اذا كان ، وان كان كذلك فالى أى حد ـ العالم النفسى قانونيا تماما كما كان هذا التقدير فى الفيزيائيات الارسطالية راجعا الى عدم يقين مماثل عن القانونية فى العالم الفيزيائى . وليس من الضرورى هنا أن نعف فى اسباب تلك التغيرات المتعاقبة التى طرأت على قضية " قانونية ماهو نفسى " من الزاوية الفلسفية . ويكفى أن نتذكر بأنه حتى فى الوقت الحاضر توجد نزعات عديدة الى قصر عملية القانون على نطاقات " سفلى معينة " من الاحداث النفسية . وبالنسبة الينا فانه من الاكثر أهمية أن نلاحظ أن المجال الذى يعتبر قانونيا ليس من حيث المبدأ ولكن فى البحوث الفعلية لعلم النفس بل لعلم النفس التجريبى لم يعرف الامتداد الا بشكل جد تدريجى . واذا كان علم النفس لم يتقدم متخطيا حدود علم النفس الحسى الا بشكل جد تدريجى وعلى نحو من التردد ، الى مجالات الادارة والوجدان ، فذلك يرجع بالتأكيد ليس فقط الى صعوبة التقنيات ، بل يرجع بشكل اساسى الى الحقيقة التى مؤداها بأنه فى هذه المجالات لم يكن التكرار الفعلى ، وتواتر نفس الحادثة أمرا متوقعا . فهذا التكرار يظل ، كما كان شأنه بالنسبة الى أرسطو ، وذلك الى حد كبير أساس افتراض القانونية أو قابلية الحادثة للمعقولية .

وفى واقع الامر ، فان أى علم نفس لا يعترف بالقانونية على أنها تنتمى بشكل صميمى الى طبيعة ماهو نفسى ، ومن ثم الى كل العمليات النفسية ، حتى تلك العمليات التى لاتحدث الا مرة واحدة ، ينبغى أن تكون له محكات ليست ، مثل فيزيائيات أرسطو ، فيما اذا كان فى حالة بعينها يتعامل ـ أو لا ـ مع ظواهر قانونية

And, again, just as in Aristotelian physics, frequency of recurrence is taken as such a criterion. It is evidence of the depth and momentum of this connection (between repetition and lawfulness) that it is even used to define experiment, a scientific instrument which, if it is not directly opposed to the concepts of Aristotelian physics, has at least become significant only in relatively modern times.[1] Even for Wundt repetition inhered in the concept of experiment. Only in recent years has psychology begun to give up this requirement, which withholds a large field of the psychical from experimental investigation.

But even more important perhaps than the restriction of experimental investigation is the fact that this extravagant valuation of repetition (*i.e.*, considering frequency as the criterion and expression of lawfulness) dominates the formation of the concepts of psychology, particularly in its younger branches.

Just as occurs in Aristotelian physics, contemporary child psychology regards as characteristic of a given age, and the psychology of emotion as characteristic of a given expression, that which a group of individual cases have in common. This abstract Aristotelian conception of the class determines the kind and dominates the procedure of classification.

Class and Essence. Present-day child psychology and affect psychology also exemplify clearly the Aristotelian habit of considering the abstractly defined classes as the essential nature of the particular object and hence as an explanation of its behavior. Whatever is common to children of a given age is set up as the fundamental character of that age. The fact that three-year-old children are quite often negative is considered evidence that negativism is inherent in the nature of three-year-olds, and the concept of a negativistic age or stage is then regarded as an explanation (though perhaps not a complete one) for the appearance of negativism in a given particular case!

Quite analogously, the concept of drives—for example, the hunger drive or the maternal instinct—is nothing more than the

[1] The Greeks, of course, knew of experiment.

ومن جديد ، تماما ، كما هو الشأن في الفيزيائيات الارسططالية ، فان تواتر " الحدوث من جيد " يعتبر محكا من هذا القبيل . ودليل على عمق وقوة هذا الارتباط (مابين التكرار والقانونية) أنه يستخدم حتى لتعريف التجريب ، الذى هو أداة علمية ، ان لم توضع بشكل مباشر فى معارضة مفاهيم الفيزيائيات الارسططالية ، فانها على الاقل لم تصبح ذات قيمة الا فى الازمنة العصرية [١] نسبيا . وحتى بالنسبة الى فوندت كان التكرار يدخل بشكل صميمى فى مفهوم التجريب . وفقط فى السنوات الاخيرة شرع علم النفس فى التنازل عن هذا " المطلب " الذى يحبس مجالا كبيرا من النفس عن البحث التجريبى .

ولكن ربما يكون أكثر أهمية ــ من الحد من مجال البحث التجريبى ــ تلك الحقيقة التى مؤداها ان هذا التقدير المسرف للتكرار (أى اعتبار التواتر محك القانونية والتعبير عنها) يهيمن على تكوين المفاهيم فى علم النفس ، وعلى الاخص فى فروعه الاكثر يفاعة .

وتماما كما يحدث فى الفيزيائيات الارسططالية ، فان علم نفس الطفولة المعاصر يعتبر بحسبانه مخصصا لعمر بعينه ، وعلم نفس الانفعال يعتبر بحسبانه مخصصا لتعبير بعينه ، ذلك الذى يكون مشتركا عند مجموعة من الحالات الفردية . وهذا التصور الارسططالى التجريدى للصنف يحدد النوع ويهيمن على عملية التصنيف .

الصنف والماهية

علم نفس الطفولة اليوم وعلم نفس الوجدان أيضا يمثلان بشكل واضح العادة الارسططالية التى تعتبر الاصناف " التجريدية ــ التحدد " على أنها الطبيعة الاساسية للشىء الفردى ومن ثم على أنها تفسير لسلوكه . فكلتنا ما كان ماهو مشترك عند الاطفال فى عمر بعينه يتم تنصيبه على أنه الطابع الاساسى لهذا العمر . فكون الاطفال فى الثالثة من العمر غالبا جدا مايتسمون بالسلبية [٢] فذلك يعتبر دليلا على أن السلبية تدخل بشكل صميمى فى طبيعة الاطفال فى الثالثة من العمر ، وعندئذ فان مفهوم عمر السلبية " أو " مرحلة سلبية " يعتبر على أنه تفسير (نوان يكن ربما ليس بتفسير مل لظهور السلبية فى حالة فردية بعينها) .

وبشكل مماثل تماما ، فان مفهوم الحوافز ــ على سبيل المثال ، حافز الجوع غريزة الامومة ــ ليس أكثر من . . . .

---

(١) كان اليونانيون بالطبع يعرفون التجريب .
(٢) (العناد) كما تشيع ترجمتها فى العربية . (المترجم)

abstract selection of the features common to a group of acts that are of relatively frequent occurrence. This abstraction is set up as the essential reality of the behavior and is then in turn used to explain the frequent occurrence of the instinctive behavior, for example, of the care of infant progeny. Most of the explanations of expression, of character, and of temperament are in a similar state. Here, as in a great many other fundamental concepts, such as that of ability, talent, and similar concepts employed by the intelligence testers, present-day psychology is really reduced to explanation in terms of Aristotelian essences, a sort of explanation which has long been attacked as faculty psychology and as circular explanation, but for which no other way of thinking has been substituted.

Statistics. The classificatory character of its concepts and the emphasis on frequency are indicated methodologically by the commanding significance of statistics in contemporary psychology. The statistical procedure, at least in its commonest application in psychology, is the most striking expression of this Aristotelian mode of thinking. In order to exhibit the common features of a given group of facts, the average is calculated. This average acquires a representative value, and is used to characterize (as mental age) the properties of "the" two-year-old child. Outwardly, there is a difference between contemporary psychology, which works so much with numbers and curves, and the Aristotelian physics. But this difference, characteristically enough, is much more a difference in the technique of execution than in the actual content of the concepts involved. Essentially, the statistical way of thinking, which is a necessary consequence of Aristotelian concepts, is also evident in Aristotelian physics, as we have already seen. The difference is that, owing to the extraordinary development of mathematics and of general scientific method, the statistical procedure of psychology is clearer and more articulate.

All the efforts of psychology in recent years toward exactness and precision have been in the direction of refinement and extension of its statistical methods. These efforts are quite justified in so far as they indicate a determination to achieve

انتقاء تجريدى للمعالم المشتركة فى مجموعة من الافعال متواترة الحدوث نسبيا . هذا التجريد يتم تصيبه على أنه الحقيقة الاساسية للسلوك ثم يستخدم بدوره لتفسير الحدوث المتواتر للسلوك الغريزى ، من قبيل ، الرعاية الفرية من الاطفال . وغالبية التفسيرات للتعبير ، والخلق والمزاج ، هى فى حالة مماثلة . هنا ، كما هو الشأن فى كثرة كثيرة من المفاهيم الاساسية الاخرى ، من قبيل مفهوم القدرة ، والموهبة ، والمفاهيم المماثلة التى يستخدمها قياسو الذكاء ، فان علم النفس اليوم يعانى فى الواقع خفضا الى مستوى التفسير بلغة الماهية الارسططالية وهو نوع من التفسير تعرض طويلا للهجوم من حيث هو علم نفس الملكة (بفتح اللام) ومن حيث هو تفسير دائرى ، ولكن دون أن يحل محله أسلوب آخر فى التفكير .

الاحصاء

ان الطابع التصنيفى لمفاهيم علم النفس المعاصر والحاحه بالاهمية على التواتر تدل عليهما من الناحية الميثودولوجية الاهمية المهيمنة فيه اليوم للاحصاء . فالاجراءات الاحصائية ، على الاقل فى أكثر تطبيقاتها شيوعا فى علم النفس المعاصر ، هى أعظم تعبير استلفاتا للانتباه لذلك الاسلوب الارسططالى فى التفكير . فلبيان المعالم المشتركة فى مجموعة بعينها من الوقائع يتم حساب المتوسط . هذا المتوسط يكتسب " قيمة ممثلة " (بكسر الثاء) ، ويستخدم (كالعمر العقلى) لتخصيص خصائص " طفل الثانية من العمر " وفى الظاهر ، يوجد اختلاف مابين علم النفس المعاصر ، الذى يكثر من العمل بالارقام والمنحنيات وبين الفيزيائيات الارسططالية . ولكن هذا الاختلاف ، والذى يعتبر مميزا بدرجة كافية هو اختلاف فى فنية التنفيذ بأكثر كثيرا منه فى المضمون الفعلى للمفاهيم المتضمنة . فمن الناحية الاساسية ، فان الاسلوب الاحصائى فى التفكير ، والذى هو نتيجة ضرورية تلزم عن المفاهيم الارسططالية ، هو أيضا واضح فى الفيزيائيات الارسططالية ، على نحو مارأينا من قبل . وينحصر الاختلاف فى أنه نتيجة للتطور الرائع للرياضيات والمنهج العلمى العام ، أصبحت الاجراءات الاحصائية فى علم النفس ، أكثر وضوحا وبيانا .

وكل جهود علم النفس فى السنوات الاخيرة نحو الدقة الصارمة والاحكام انما كانت فى اتجاه تحسين — والتوسع فى — طرائقه الاحصائية . وهذه الجهود لها مايبررها تماما بقدر ماتعبر عن تصميم على

an adequate comprehension of the full reality of mental life. But they are really founded, at least in part, on the ambition to demonstrate the scientific status of psychology by using as much mathematics as possible and by pushing all calculations to the last possible decimal place.

This formal extension of the method has not changed the underlying concepts in the slightest: they are still thoroughly Aristotelian. Indeed, the mathematical formulation of the method only consolidates and extends the domination of the underlying concepts. It unquestionably makes it more difficult to see the real character of the concepts and hence to supplant them with others; and this is a difficulty with which Galileian physics did not have to contend, inasmuch as the Aristotelian mode of thought was not then so intrenched and obscured in mathematics (see page 9).

4 *Limits of Knowledge. Exceptions.* Lawfulness is believed to be related to regularity and considered the antithesis of the individual case. (In terms of the current formula, lawfulness is conceived as a correlation approaching $r = \pm 1$.) So far as the psychologist agrees at all to the validity of psychological propositions, he regards them as only regularly valid, and his acceptance of them takes such a form that one remains aware of a certain distinction between mere regularity and full lawfulness; and he ascribes to biological and, above all, to psychological propositions (in contrast to physical) only regularity. Or else lawfulness is believed to be only the extreme case of regularity,[1] in which case all differences (between lawfulness and regularity) disappear in principle while the necessity of determining the degree of regularity still remains

[1] As is well known, the concept of possible exceptions and the merely statistical validity of laws has very recently been revived in physical discussion. Even if this view should finally be adopted, it would not in any way mean a return to Aristotelian concepts. It suffices here to point out that, even in that event, it would not involve setting apart within the physical world a class of events on the basis of its degree of lawfulness, but the whole physical universe would be subject only to a statistical lawfulness. On the relation of this statistical view to the problem of precision of measurement, see Lewin, *Gesetz und Experiment in der Psychologie* Weltkreisverlag, Berlin, 1927

البلوغ الى فهم يفى بالواقع المكتمل للحياة النفسية • ولكن هذه الجهود تقوم فى الواقع (على الاقل جزئيا) على ذلك الطموح الى اثبات الوضع العلمى لعلم النفس باستخدام أكثر مايمكن من الرياضيات والمضى بكل الحسابات الى آخر علامة عشرية ممكنة •

وهذا التوسع الشكلى للمنهج لم يغير فى أقل القليل من المفاهيم التى تكمن وراءه : انها مازال بكليتها ارسطالية • ففى الواقع فان الصياغة الرياضية للمنهج انما فقط تدعم و " توسع من " هيمنة المفاهيم التى تكمن وراءه • انها بالقطع تجعل من الأصعب تبين الطابع الحقيقى للمفاهيم وبالتالى احلال غيرها فى مكانها ، وتلك صعوبة لم يكن على الفيزيائيات الجاليلية أن تناضل ضدها ، طالما أن الاسلوب الارسطالى للفكر لم يكن عندئذ قد أمعن فى الاحتماء والاعتام بالرياضيات (أنظر صفحة ٩) •

حدود المعرفة • الاستثناءات

ان القانونية بحسب الاعتقاد ترتبط بالانتظامية وتعتبر النقيض للحالة الفردية • (وبلغة الصيغة المعروفة ، فان القانونية يتم تصورها على أنها ارتباط يقترب من = ± ١) • وبقدر مايوافق عالم النفس بأية حال على صدق القضايا السيكولوجية ، فانه ينظر اليها على أنها فقط صادقة من حيث الانتظامية ، وتقبله لهذه القضايا يتخذ صورة معينة بحيث يظل المرء على وعى بنوع من التمييز مابين مجرد الانتظامية ، والقانونية المكتملة ، فهو لاينسب الى القضايا البيولوجية واكثر من كل شئ الى القضايا السيكولوجية (فى تعارض مع القضايا الفيزيائية) الا الانتظامية • وبكلمات أخرى فان القانونية تكون بحسب هذا الاعتقاد ليس غير الحالة القصوية للانتظامية [1] ، وفى مثل هذا الوضع فان كل الاختلافات (ما بين القانونية والانتظامية) تختفى من حيث المبدأ بينما تظل باقية ضرورة تحديد درجة الانتظامية •

---

(١) وكما هو معروف جيدا ، فان مفهوم الاستثناءات الممكنة ومجرد الصدق الاحصائى للقوانين قد تم ابتعاثها من جديد فى وقت جد قريب فى المناقشات الفيزيائية • وحتى اذا كان من المحتم فى نهاية الامر تبنى مثل هذا الرأى ، فلن يكون ذلك على أى نحو يعنى عودة الى المفاهيم الارسطالية • ويكفى هنا أن نشير ، الى أنه حتى فى هذه الحالة فلن يكون معنى ذلك ان نعزل جانبا داخل العالم الفيزيائى صنفا من الاحداث استنادا الى درجة قانونية ، بل سيكون الكون الفيزيائى كله خاضعا فقط لقانونية احصائية • بخصوص علاقة هذا الرأى الاحصائى بمشكلة احكام القياس ، انظر ليفين •

The fact that lawfulness and individuality are considered antitheses has two sorts of effect on actual research. It signifies in the first place a limitation of research. It makes it appear hopeless to try to understand the real, unique, course of an emotion or the actual structure of a particular individual's personality. It thus reduces one to a treatment of these problems in terms of mere averages, as exemplified by tests and questionnaires. Anyone to whom these methods appear inadequate usually encounters a weary skepticism or else a maudlin appreciation of individuality and the doctrine that this field, from which the recurrence of similar cases in sufficient numbers is excluded, is inaccessible to scientific comprehension and requires instead sympathetic intuition. In both cases the field is withdrawn from experimental investigation, for qualitative properties are considered as the direct opposite of lawfulness. The manner in which this view is continually and repeatedly advanced in the discussion of experimental psychology resembles, even to its particulars, the arguments against which Galileian physics had to struggle. How, it was urged at that time, can one try to embrace in a single law of motion such qualitatively different phenomena as the movements of the stars, the flying of leaves in the wind, the flight of birds, and the rolling of a stone downhill. But the opposition of law and individual corresponded so well with the Aristotelian conception and with the primitive mode of thinking which constituted the philosophy of everyday life that it appears often enough in the writings of the physicists themselves, not, however, in their physics but in their philosophy.[1]

The conviction that it is impossible wholly to comprehend the individual case as such implies, in addition to this limitation, a certain laxity of research: it is satisfied with setting forth mere regularities. The demands of psychology upon the stringency of its propositions go no farther than to require a validity "in

[1] To avoid misunderstanding, the following should be emphasized: when we criticize the opposition of individual and law, as is customary in psychology, it does not mean that we are unaware of the complex problems of the concept of individuality.

وكون القانونية والفردية يعتبر ان نقائض فذلك ينطوى على نوعين من التأثير على البحث الفعلى . ذلك يعنى فى المقام الاول تقييدا يحد من البحث . فمن شأن ذلك أن يجعل محاولة فهم ، المسار الواقعى الفريد لانفعال ما أو البنية الفعلية للفردية الخاصة بشخصية ما ، تبدو أمرا مستحيلا . ومن ثم فان ذلك يخفض الامر الى تناول لهذه المشكلات بلغة المتوسطات ليس غير ، على نحو ماتمثله المقاييس والاستبيانات . وأى شخص تبدو له هذه الطرائق غير كافية ، عادة مايكون عليه أن يواجه تشكيكية مرهقة أو أيضا " التقييم النزواتى " للفردية والنظرية التى مؤداها أن هذا المجال ، والذى يخلو من تواتر حدوث الحالات المماثلة مرات كافية ، انما هو غير متاح للفهم العلمى ويتطلب بدلا من ذلك حدسا يتسم بالسمباثية . وفى الحالين ينسحب المجال من البحث التجريبى ، لأن الخصائص الكيفية تعتبر النقيض المباشر للقانونية . والطريقة التى يتم بها تقديم هذا الرأى باستمرار وبشكل متكرر فى مناقشة علم النفس التجريبى تشبه ، حتى فى خصوصياتها ، تلك الحجج التى كان على الفيزيائيات الجاليلية أن تناضل ضدها . كيف لأحد (كان التساؤل الملح فى ذلك الوقت) أن يحاول أن يحتضن فى قانون واحد لاغير عن الحركة مثل هذه الظواهر المختلفة من الناحية الكيفية كحركات النجوم ، وتطاير أوراق الشجر فى الريح وطيران الطيور ، وتدحرج الحجر ساقطا من التل . ولكن التعارض مابين القانون والفردى كان يتفق بشكل جيد مع التصور الارسططالى ومع الاسلوب البدائى للتفكير مما كان يشكل فلسفة الحياة اليومية بحيث يظهر كثيرا بدرجة كافية فى كتابات الفيزيائيين أنفسهم ، وان يكن ، لافى فيزيائياتهم بل فى فلسفتهم (١).

والاعتقاد بأنه من المستحيل تماما فهم الحالة الفردية من حيث هى كذلك ، انما ينطوى ـ بالاضافة الى هذا " الحد من المدى " ـ على نوع من تراخى البحث : فهو يقنع بالابانة عن " الانتطاعيات " ليس غير . ان مايقتضيه علم النفس من صرامة قضاياه لايذهب الى أبعد من اقتضائه صدقا ....

(١) وتجنبا لاساءة الفهم ، يتحتم تأكيد مايلى : عندما ننقد التعارض مابين الفردى والقانون كما هو مألوف فى علم النفس ، فذلك لايعنى اننا على غير وعى بالمشكلات المعقدة لمفهوم الفردية .

general," or "on the average," or "as a rule." The "complexity" and "transitory nature" of life processes make it unreasonable, it is said, to require complete, exceptionless, validity. According to the old saw that "the exception proves the rule," *psychology does not regard exceptions as counterarguments so long as their frequency is not too great.*

The attitude of psychology toward the concept of lawfulness also shows clearly and strikingly the Aristotelian character of its mode of thought. It is founded on a very meager confidence in the lawfulness of psychological events and has for the investigator the added charm of not requiring too high a standard of validity in his propositions or in his proofs of them.

Historic-geographic Concepts. For the view of the nature of lawfulness and for the emphasis upon repetition which we have seen to be characteristic of Aristotelian physics, in addition to the motives which we have just mentioned, the immediate reference to the concerned actuality in the historic-geographic sense was fundamental. Likewise, and this is evidence of the intimacy in which these modes of thought are related, present-day psychology is largely dominated by the same immediate reference to the historic-geographic datum. The historical bent of psychological concepts is again not always immediately obvious as such, but is bound up with nonhistoric, systematic concepts and undifferentiated from them. This quasi-historical set forms, in my opinion, the central point for the understanding and criticism of this mode of concept formation.

Although we have criticized the statistical mode of thought, the particular formulas used are not ultimately important to the questions under discussion. It is not the fact that an arithmetic mean is taken, that one adds and divides, that is the object of the present critique. These operations will certainly continue to be used extensively in the future of psychology. The critical point is not that statistical methods are applied, but how they are applied and, especially, what cases are combined into groups.

In contemporary psychology the reference to the historic-geographic datum and the dependence of the conclusions upon

" على وجه العموم " ، أو " يقوم على المتوسط " أو " كقاعدة " . وتعقد عمليات الحياة ، وما تتسم به من " طبيعة عارضة " يجعل من غير المعقول ــ كما يقال ــ اقتضاء صدق مكتمل عليهم الاستثناءات . وحسب المثل المأثور القديم " الاستثناء يثبت القاعدة " ، فان علم النفس لاينظر الى الاستثناءات على أنها حجج مضادة طالما أن تواترها ليس مسرف الكبر " .

واتجاه علم النفس من مفهوم القانونية ، يكشف ايضا ــ بشكل واضح وملفت ــ الطابع الارسططالى لاسلوبه فى الفكر . انه يقوم على ثقة جد هزيلة فى قانونية الاحداث النفسية وينطوى بالنسبة الى الباحث على ذلك السحر الاضافى الذى ينحصر فى عدم اقتضائه لمستوى مسرف الارتفاع من الصدق فى قضاياه أو فى براهينه عليها .

المفاهيم التاريخية الجغرافية

بالنسبة الى الرأى عن طبيعة القانونية وبالنسبة الى التركيز على التكرار هذا الذى رأيناه مخصصا للفزيائيات الارسططالية ، وبالاضافة الى الدوافع التى فرغنا من ذكرها فان الاشارة المباشرة الى التحقيق الفعلى ــ موضع البحث ــ بالمعنى التاريخى كانت أمرا أساسيا . وبالمثل ، وهذا دليل على الطابع الوثيق لارتباط هذه الاساليب للفكر ، فان علم النفس اليوم تهيمن عليه الى حد كبير تقى تلك الاشارة المباشرة الى المعطيات التاريخية الجغرافية . والنزعة التاريخية للمفاهيم النفسية ــ مرة أخرى ــ لاتكون دائما بشكل مباشر واضحة من حيث هى كذلك ، بل تكون مختلفة بمفاهيم غير تاريخية ،نظامية وغير متمايزة عنها . وهذه المجموعة شبه التاريخية تشكل ــ فى رأيى ــ النقطة المركزية لفهم ونقل هذا الاسلوب فى " تكوين ــ المفهوم " .

وعلى الرغم من أننا قد نقدنا الاسلوب الاحصائى للفكر ، فان الصيغ الاحصائية المستخدمة ليست فى نهاية الامر هامة بالنسبة الى الامثلة موضع المناقشة . انها ليست مسألة متوسط حسابى يؤخذ ، أو مسألة أن المرء يجمع ويقسم ، التى تشكل موضوع هذا النقد . فهذه العمليات سوف تستمر بالتأكيد تستخدم على نطاق واسع فى مستقبل علم النفس فنقطة الانتقاد ليست ان الطرائق الاحصائية تستخدم ولكن الكيفية التى بها تستخدم ، وعلى الخصوص ، ماهى الحالات التى يتم ضمها وتوحيدها معا فى مجموعات .

وفى علم النفس المعاصر فان الاشارة الى المعطيات التاريخية ــ الجغرافية توقف النتائج على تواتر الحدوث الفعلى . . . .

frequency of actual occurrence are striking. Indeed, so far as immediate reference to the historic datum is concerned, the way in which the nature of the one-, two-, or three-year-old child is arrived at through the calculation of statistical averages corresponds exactly to Bacon's collection of the given cases of dryness in his *tabulae praesentiae*. To be sure, there is a certain very crude concession made in such averages to the requirements of nonhistoric concepts: patently pathological cases, and sometimes even cases in which an unusual environment is concerned, are usually excluded. Apart from this consideration, the exclusion of the most extreme abnormalities, the determination of the cases to be placed in a statistical group is essentially on historic-geographic grounds. For a group defined in historic-geographic terms, perhaps the one-year old children of Vienna or New York in the year 1928, averages are calculated which are doubtless of the greatest significance to the historian or to the practical school man, but which do not lose their dependence upon the accidents of the historic-geographic given even though one go on to an average of the children of Germany, of Europe, or of the whole world, or of a decade instead of a year. *Such an extension of the geographic and historic basis does not do away with the specific dependence of this concept upon the frequency with which the individual cases occur within historically-geographically defined fields.*

Mention should have been made earlier of that refinement of statistics which is founded upon a restriction of the historic-geographic basis, such as a consideration of the one-year-old children of a proletarian quarter of Berlin in the first years after the War. Such groupings usually are based on the qualitative individuality of the concrete cases as well as upon historic-geographic definitions. But even such limitations really contradict the spirit of statistics founded on frequency. Even they signify methodologically a certain shift to the concrete particulars. Incidentally, one must not forget that even in the extreme case of such refinement, perhaps in the statistical investigation of the only child, the actual definition is in terms of historic-geographic or at best of sociological categories;

يستلفتان الانتباه • فانه وفي الواقع بقدر مايقوم الامر على الاشارة المباشرة الى المعطيات التاريخية فان الطريقة التي يتم بها الوصول الى طبيعة طفل السنة الاولى أو الثانية أو الثالثة عن طريق حساب المتوسطات الاحصائية انما تناظر بالدقة تجميع (بيكون) للحالات العيانية للجفاف في مؤلفه • وبالتأكيد ، ثمة نوع من التنازل شديد الفجاجة تنطوي عليه مثل هذه المتوسطات بالنسبة الى متطلبات المفاهيم غير التاريخية (١) : فالحالات الباثولوجية بشكل صريح (بل واحيانا حالات تكون فيها بيئة غير عادية هي المسئولة) عادة ماتكون مستبعدة • وفيما عدا هذا الاعتبار ، فان استبعاد أعظم الشذوذات قصوية وتحديد الحالات التي توضع في مجموعة احصائية انما يتم بشكل اساسي استنادا الى أسس تاريخية جغرافية • فبالنسبة الى مجموعة محددة بلغة تاريخية ــ جغرافية ، ربما أطفال ممن بلغوا السنة الاولى من العمر في فينا أو نيويورك في سنة ١٩٢٨ ، فان المتوسطات التي يتم حسابها والتي تنطوي بالقطع على أعظم دلالة بالنسبة الى رجل التاريخ أو رجل التربية العملي ، يمضي المرء الى متوسط الاطفال في ألمانيا أو أوربا أو العالم كله ، أو لعشر سنوات بدلا من سنة واحدة • مثل هذا الامتداد للأسس الجغرافية والتاريخية لايذهب بالتبعية النوعية لمبدأ المفهوم تجاه التواتر الذي فيه الحالات الفردية داخل مجالات محددة على نحو تاريخي ــ جغرافي •

كان ينبغي في وقت أبكر أن نشير الى هذا التحسن للاحصاء والذي يقوم على الحد من الاسس التاريخية ــ الجغرافية ، تلك التي من قبيل الاهتمام بالاطفال ممن بلغوا السنة الاولى من العمر في حي البروليتاريا من برلين في السنوات الاولى التالية على الحرب مثل هذه التجميعات عادة ماتقوم على الفردية الكيفية للحالات العيانية كما تقوم على تحديدات تاريخية ــ جغرافية • ولكن حتى مثل هذه التحديدات تناقض في الواقع روح الاحصاء التي تقوم على التواتر • بل ان هذه التحديدات تعني من الناحية الميثودولوجية نوطا من التحول الى الفرديات العيانية (٢) • ونتيجة لذلك ، ينبغي على المرء الا ينسى بأنه حتى في الحالة القصوية لمثل هذا " التحسن " ، وربما في البحث الاحصائي للطفل الوحيد ، فان التحديد الفعلي انما يكون بلغة الاصناف التاريخية ــ الجغرافية أو في أحسن حالاته بلغة الاصناف السوسيولوجية ، • • • • • • • • • • • • • •

---

(١) المقصود المفاهيم النظامية (المترجم)

(٢) بمعنى الخصوصيات العيانية • (المترجم)

that is, according to criteria which combine into a single group cases that psychologically are very different or even antithetical. Such statistical investigations are consequently unable as a rule to give an explanation of the dynamics of the processes involved.

The immediate reference to the historically given actuality which is characteristic of Aristotelian concept formation is evident also in the discussion of experiment and nearness to life conditions. Certainly one may justly criticize the simple reaction experiments, the beginnings of the experimental psychology of the will, or the experiments of reflexology on the ground of their wide divergence from the conditions of life. But this divergence is based in large part upon the tendency to investigate such processes as do not present the individual peculiarities of the particular case but which, as "simple elements" (perhaps the simplest movements), are common to all behavior, or which occur, so to speak, in everything. In contrast to the foregoing, approximation to life conditions is often demanded of, for example, the psychology of will. By this is usually meant that it should investigate those cases, impossible to produce experimentally, in which the most important decisions of life are made. And here also we are confronted by an orientation toward the historically significant. It is a requirement which, if transferred to physics, would mean that it would be incorrect to study hydrodynamics in the laboratory; one must rather investigate the largest rivers in the world. Two points then stand out: in the field of theory and law, the high valuation of the historically important and disdain of the ordinary; in the field of experiment, the choice of processes which occur frequently (or are common to many events). Both are indicative in like measure of that Aristotelian mixing of historical and systematic questions which carries with it for the systematic the connection with the abstract classes and the neglect of the full reality of the concrete case.

Galileian Concept Formation.

Opposed to Aristotelian concept formation, which I have sought briefly to characterize, there is now evident in psychology

أى ، تبعا لمحكات تجمع فى مجموعة واحدة حالات هى من الناحية السيكولوجية جد مختلفة أو حتى نقائضية . مثل هذه الابحاث الاحصائية تكون نتيجة ـ لذلك عاجزة ـ كقاعـدة عامة ـ عن تقديم تفسير لديناميات العمليات المتضمنة .

والاشارة المباشرة الى التحقق الفعلى " المحصى " تاريخيا والتى تخصص " تكوين ـ المفهوم " الارسطالى توجد أيضا بشكل واضح فى مناقشة التجريب والقرب من ظـروف الحياة . وبالتأكيد فمن الممكن للمرء بحق أن ينقد تجارب الاستجابة البسيطه أو بدايـا ت علم النفس التجريبى للادارة ، او تجارب علم نفس المنعكسات التشريطية استنادا الـــى ابتعادها الشاسع عن شروط الحياة . ولكن هذا الابتعاد يقوم فى جانب كبير منه علـى النزعة الى نقص عمليات من ذلك القبيل الذى لاتكتشف عنه الخصوصيات الفردية للحالـــة العيانية ، ولكنها عمليات ـ من حيث هى " عناصر بسيطة " (وربما أكثر الحركات بساطة) ـ ، تكون مشتركة فى كل سلوك ، او يحدث ، ان جاز القول ، فى كل شئ . وفى تعارض مـــع ماسلف ، فان التقريب من ظروف الحياة غالبا مايكون مطلوبا ، على سبيل المثال ، علم نفس الادارة ، وبهذا عادة مايكون المقصود أنه يتحتم عليه تقصى تلك الحالات ، التى يستحيل استحداثهـــا تجريبيا ، والتى فيها تتخذ أعظم قرارات الحياة أهمية . وهنا أيضا نجدنا فى مواجهـــة توجه الى " ماهو من الناحية التاريخية ذو دلالة " . ان ذلك مطلب ، لو أننا نقلنـــاه الى الفيزيائيات ، لكان يعنى أن يكون من غير الصحيح أن تدرس الديناميات المائية فـى المعمل وان يكون على المرء بالحرى أن يتقصى بالبحث أكبر الانهار فى العالم . عندئـذ تبرز نقطتان : ففى مجال النظرية والقانون ، التقييم العالى لما هو من الناحية التاريخية هام والتحقير لما هو عادى مألوف ، وفى مجال التجريب ، اختيار العمليات التى تحدث بشكل متواتر (أى التى هى مشتركة بين كثرة من الاحداث) . فكلتاهما تنطويان علـى دلالة فى مثل هذا الاجراء من الخلط الارسطالى بين ماهو تاريخى وماهو نظامـــى والذى يحمل معه بالنسبة الى " النظامى " الارتباط بالاصناف التجريدية والاغفال للواقع الملئ للحالة العيانية .

" تكوين ـ المفهوم " الجاليلى

وفى تعارض مع " تكوين ـ المفهوم " الارسطالى ، والذى حاولت فى ايجـاز تخصيصه ، ثمة الان فى علـــم النفـــ

a development which appears occasionally in radical or apparently radical tendencies, more usually in little half steps, sometimes falling into error (especially when it tries most exactly to follow the example of physics), but which on the whole seems clearly and irresistibly to be pushing on to modifications that may ultimately mean nothing less than a transition from Aristotelian to Galileian concept formation.

No Value Concepts. No Dichotomies. Unification of Fields. The most important general circumstances which paved the way for Galileian concepts in physics are clearly and distinctly to be seen in present-day psychology.

The conquest over *valuative*, anthropomorphic classifications of phenomena on bases other than the nature of the mental process itself (see page 3) is not by any means complete, but in many fields, especially in sensory psychology, at least the chief difficulties are past.

As in physics, the grouping of events and objects into paired opposites and similar logical dichotomies is being replaced by groupings with the aid of serial concepts which permit of continuous variation, partly owing simply to wider experience and the recognition that transition stages are always present.

This has gone furthest in sensory psychology, especially in psychological optics and acoustics, and lately also in the domain of smell. But the tendency toward this change is also evident in other fields, for example, in that of feeling.

Freud's doctrine especially—and this is one of its greatest services—has contributed largely to the abolition of the boundary between the normal and the pathological, the ordinary and the unusual, and hereby furthered the *homogenization* (see page 10) of all the fields of psychology. This process is certainly still far from complete, but it is entirely comparable to that introduced in modern physics by which heavenly and earthly processes were united.

Also in child and animal psychology the necessity is gradually disappearing of choosing between two alternatives—regarding the child as a little adult and the animal as an undeveloped inferior human, or trying to establish an unbridgeable gap

تطور واضح : يبدو بين الحين والحين فى نزعات جذرية أو هى كذلك فى الظاهر، وغالبا فى خطوات ضيقة صغيرة ، وأحيانا يسقط فى الخطأ (وخاصة عندما يحاول بشكل أعظم مايكون دقة أن يقتفى مثال الفيزيائيات) ، ولكن هذا التطور يبدو على وجه الجملة — بشكل واضح وتستحيل مقاومته — يتدافع قدما الى تغييرات يمكن فى نهاية الامر ألا تعنى شيئا آخر اللهم ألا تحولا من " تكوين — المفهوم " الارسطالى الى " تكوين — المفهوم " الجاليلى .

لا مفاهيم — قيمة . لا ثنائيات . توحيد المجالات

ان الملابسات العامة الاعظم أهمية التى مهدت الطريق للمفاهيم الجاليلية فى الفيزيائيات يمكن رؤيتها — بشكل واضح ومتميز — فى علم النفس اليوم .

ان الانتصار على التصنيفات التأثيرية " القيمية " للظواهر استنادا الى أسس غير طبيعية العملية النفسية ذاتها (انظر صفحة ٣) ليس بأى حال انتصارا مكتملا ، ولكن فى كثير من المجالات وخاصة فى علم النفس الحسى ، فان الصعوبات الاساسية على الاقل تنتمى الى الماضى .

وكما هو الشأن فى الفيزيائيات ، فان تجميع الاحداث والاشياء فى ازواج من المتناقضات وفى " ثنائيات " منطقية مماثلة قد أخلى مكانه لتجميعات تستعين بالمفاهيم التسلسلية التى تسمح بالتغير المتصل ، مما يرجع جزئيا ببساطة الى خبرة أرحب والى الاعتراف بأن مراحل من التحول توجد دائما .

وقد مضى هذا الى أبعد مدى فى علم النفس الحسى ، وعلى الخصوص فى البصريات السيكولوجية والسمعيات ، وأخيرا ايضا فى مجال الشميات . ولكن النزعة الى هذا التغير واضحة ايضا فى مجالات أخرى ، وعلى سبيل المثال ، فى مجال الشعور .

ونظرية فرويد على وجه الخصوص — وتلك ميزة من أعظم ميزاتها — قد أسهمت بشأن كبير فى ازالة الحدود الفاصلة مابين السوى والباثولوجى ، مابين العادى وغير العادى ، ومن ثم زادت من " المجانسة " (انظر صفحة ١٠) بين كل مجالات علم النفس . وهذه العملية مازال بالتأكيد بعيدة عن الاكتمال ، ولكنها تشبه تماما تلك العملية التى دخلت على الفيزيائيات المعاصرة والتى توحدت بها العمليات السماوية والارضية .

وكذلك فى علم نفس الطفل وعلم نفس الحيوان فبالتدريج تختفى ضرورة الاختيار مابين بديلين : اعتبار الطفل راشدا صغيرا والحيوان انسانا أدنى فى قصور التطور ، أو محاولة اقامة هوة يستحيل تخطيهما . . . .

between the child and adult, animal and man. This homogenization is becoming continually clearer in all fields, and it is not a purely philosophical insistence upon some sort of abstract fundamental unity but influences concrete research in which differences are fully preserved.

Unconditional General Validity of Psychological Laws. The clearest and most important expression of increasing homogeneity, besides the transition from class to serial concepts, is the fact that the validity of particular psychological laws is no longer limited to particular fields, as it was once limited to the normal human adult on the ground that anything might be expected of psychopathics or of geniuses, or that in such cases the same laws do not hold. It is coming to be realized that every psychological law must hold without exception.

In actual content, this transition to the concept of strict exceptionless lawfulness signifies at once the same final and all-embracing homogenization and harmonization of the whole field that gave to Galileian physics its intoxicating feeling of infinite breadth, because it does not, like the abstract class concepts, level out the rich variety of the world and because a single law embraces the whole field.

Tendencies toward a homogeneity based upon the exceptionless validity of its laws have become evident in psychology only very recently, but they open up an extraordinarily wide perspective.[1]

[1] The association psychology contains an attempt at this sort of homogeneity, and it has really been of essential service in this direction. Similarly, in our time reflexology and behaviorism have contributed to the homogenization of man and animal and of bodily and mental. But the Aristotelian view of lawfulness as regularity (without which it would have been impossible to support the law of association) brought this attempt to nothing. Consequently, the experimental association psychology, in its attempt at the end of the nineteenth century to derive the whole mental life from a single law displayed the circular and at the same time abstract character that is typical of the speculative early stages of a science, and of Aristotelian class concepts.

Indeed, it seems almost as if, because of the great importance of frequency and repetition for Aristotelian methodological concepts, the law of association was designed to make use of these as the actual content of psychological principles, inasmuch as frequent repetition is regarded as the most important cause of mental phenomena.

مابين الطفل الراشد ، ومابين الحيوان والانسان . هذه المجانسة تغدو أوضح فأوضح بشكل مستمر فى كل المجالات ، وهى ليست مجرد اصرار فلسفى على نوع من الوحدة الاساسية التجريدية ولكنها تؤثر على البحث العيانى الذى تصان فيه الاختلافات بشكل ملىء

الصدق العام غير الشرطى للقوانين النفسية

أن أعظم وأوضح تعبير عن المجانسة المتزايدة ، بالاضافة الى التحول من مفاهيم الفئات الى المفاهيم السلسلية ، وهو الحقيقة التى مؤداها أن صدق القوانين النفسية الخصوصية ، لم يعد الان قاصرا على مجالات خصوصية ، كما كان ذات يوم قاصرا على الراشد البشرى السوى ، استنادا الى أن أى شىء يمكن توقعه من جانب المرضى النفسيين ، أو العباقرة ، أو الى أنه فى مثل هذه الحالات فان نفس القوانين لاتصدق . ان الامر يمضى الى بيين أن كل قانون نفسى ينبغى أن يصدق بغير استثناء .

وفى هذا الصدد ، فان هذا التحول الى مفهوم " القانونية الصارمة عديمة الاستثناء " انما يعنى دفعة واحدة نفس المجانسة والمناغمة النهائية " والشاملة لكل شىء المجال كله مما أتاح للفزيائيات الجاليلية ، ذلك الاحسام المزهو برحابة لانهاية لهما ، ذلك لان هذا المفهوم لا " يسطح " (بلغة التضاريس) ــ كما تفعل المفاهيم التجريدية للفئة الصنف) ــ التباين الذى للعالم ولان قانونا واحدا ليس غير يحتضن المجال كله .

وهذه النزعات الى المجانسة المستندة الى صدق " عديم الاستثناء " للقوانين لم تصبح واضحة فى علم النفس الا منذ وقت جد قريب ، ولكنها تفتح منظورا (١) رحبا بشكل رائع .

---

(١) ان علم النفس الارتباطى ينطوى على محاولة فى اتجاه هذا النوع عن المجانسة ، وقد كان ذلك فى الواقع خدمة اساسية فى هذا الاتجاه . وعلى نحو مماثل ــ فى وقتنا ــ فان علم نفس الافعال المنعكسة والسلوكية قد اسهما فى مجانسة الانسان والحيوان ، ماهو بدنى مما هو نفسى . ولكن النظرة الارسطاطالية القانونية ، على انها انتظامية الحدوث (والتى كان يدونها يستحيل سند قانونى الترابط) قد انتهت بهذه المحاولة الى لاشىء . ونتيجة لذلك فان علم النفس الارتباطى التجريبى فى محاولة مع نهاية القرن التاسع عشر أن يشتق كل الحياة النفسية من قانون واحد لاغير ، قد كشفت عن الطابع الدائرى ، وفى نفس الوقت التجريدى ، مما هو نمطى للمراحل الباكرة التأملية للعالم ، ولمفاهيم " الفئة " الارسطاطالية .

وفى الواقع ، فان الامر يكاد يبدو ، (بسبب الاهمية العظيمة التواتر والتكرار فى المفاهيم الارسطاطالية الميثودولوجية) ، وكأن قانون الترابط انما تم تصحيحه ليستخدم هذين الامرين بحسبانهما المضمون الفعلى للمبادىء السيكولوجية ، وذلك بقدر مايكون النظر الى التكرار المتواتر على انه أعظم اسباب الظواهر النفسية من حيث الاهمية .

The investigation of the laws of structure—particularly the experimental investigation of wholes—has shown that the same laws hold not only within different fields of psychological optics but also in audition and in sensory psychology in general. This in itself constitutes a large step in the progress toward homogeneity.

Further, the laws of optical figures and of intellectual insight have turned out to be closely related. Important and similar laws have been discovered in the experimental investigation of behavioral wholes, of will processes, and of psychological needs. In the fields of memory and expression, psychological development appears to be analogous. In short, the thesis of the general validity of psychological laws has very recently become so much more concrete, particular laws have shown such capacity for fruitful application to fields that at first were qualitatively completely separated, that the thesis of the homogeneity of psychic life in respect to its laws gains tremendously in vigor and is destroying the boundaries of the old separated fields.[1]

Mounting Ambitions. Methodologically also the thesis of the exceptionless validity of psychological laws has a far-reaching significance. It leads to an extraordinary increase in the demands made upon proof. It is no longer possible to take exceptions lightly. They do not in any way "prove the rule," but on the contrary are completely valid disproofs, even though they are rare, indeed, so long as one single exception is demonstrable. The thesis of general validity permits of no exceptions in the entire realm of the psychic, whether of child or adult, whether in normal or pathological psychology.

[1] For this section compare especially M. Wertheimer, Untersuchungen zur Lehre von der Gestalt, II, *Psychol. Forsch.*, 1923, 4, 301–350, W. Köhler, *Gestalt Psychology*, Liveright, New York, 1929. K. Koffka, *The Growth of the Mind: An Introduction to Child Psychology* (trans. by R. M. Ogden), Harcourt, Brace, New York; Kegan Paul, London, 1924, (2d ed., 1928), and Lewin, *Vorsatz, Wille und Bedürfnis, mit Vorbemerkungen über die psychischen Kräfte und Energien und die Struktur der Seele*, Springer, Berlin, 1926. A review of the special researches is found in W. Köhler, Gestaltprobleme und Anfänge einer Gestalttheorie, *Jahresber. d. ges. Physiol.*, 1924.

ان تقصى قوانين البنيان ـ وعلى الخصوص التقصى التجريبى للأكلال ـ قد كشف عن أن نفس القوانين تصدق ليس فقط فى المجالات المختلفة لعلم نفس البصريات ، بل ايضا فى مجال السمعيات وعلى النفس الحسى بوجه عام • وذلك فى ذاته يشكل خطوة كبيرة فى طريق التقدم نحو المجانسة •

وأكثر من ذلك ، فان قوانين الاشكال البصرية ، وقانين الاستبصار العقلى قد تكشفت وثيقة الصلة • وثمة قوانين هامة ومتماثلة ، قد كشف عنها التقصى التجريبى للأكلال السلوكية وعمليات الارادة ، والحاجات النفسية ـ وفى مجالات الذاكرة والتعبير ، يبدو التطور السيكولوجى مماثلا • وباختصار فان قضية " الصدق العام للقوانين النفسية " قد غدت منذ وقت جد قريب أكثر ـ عيانية بدرجة كبيرة الى حد ـ (فقوانين خصوصية قد كشفت عن قدرتها على التطبيق المثمر فى مجالات كانت فى البداية منفصلة تماما من الناحية الكيفية) أن القضية " تجانس [١] الحياة النفسية " ، فيما يتصل بقوانينها تغنم بشكل هائل من حيث القاطعية وتتابع طريقها تخطيط للحدود الفاصلة مابين المجالات القديمة المنفصلة •

لطموحات المتزايدة

ومن الناحية الميثودولوجية أيضا على القضية " الصدق عديم الاستثناء للقوانين النفسية " تنطوى على دلالة بعيدة المدى • أنها تؤدى الى زيادة عادية فى المتطلبات المفروضة على البرهان • لم يعد من الممكن بعد ، النظر باستخفاف الى الاستثناءات • فان الاستثناءات ـ على أى نحو ـ لا " تبرهن على القاعدة " ، بل هى على العكس وبشكل تام براهين دحض صادقة ، حتى وان تكن نادرة ، بل وفى الواقع عندما يكون من الممكن البرهنة على وجود استثناء واحد لاغير • ان قضية الصدق العام لاتسمح بأية استثناءات فى مملكة النفس بأسرها ، سيان اتصل الامر ، بالطفل أو بالراشد ، بعلم نفس السوية أو بعلم النفس الباثولوجى •

---

(١) *Homogeneity* بينما نترجمها فى مواضع أخرى تبعا للسياق مجانسة تماما كالكلمة الانجليزية *Homogenization* • (المترجم)

On the other hand, the thesis of exceptionless validity in psychological laws makes available to investigation, especially to experiment, such processes as do not frequently recur in the same form, as, for example, certain affective processes.

From the Average to the Pure Case. A clear appreciation of this circumstance is still by no means habitual in psychology. Indeed, from the earlier, Aristotelian point of view the new procedure may even seem to conceal the fundamental contradiction we have mentioned above. One declares that one wants to comprehend the full concrete reality in a higher degree than is possible with Aristotelian concepts and yet considers this reality in its actual historical course and its given geographical setting as really accidental. The general validity, for example, of the law of movement on an inclined plane is not established by taking the average of as many cases as possible of real stones actually rolling down hills, and then considering this average as the most probable case.[1] It is based rather upon the frictionless rolling of an ideal sphere down an absolutely straight and hard plane, that is, upon a process that even the laboratory can only approximate and which is most improbable in daily life. One declares that one is striving for general validity and concreteness, yet uses a method which, from the point of view of the preceding epoch, disregards the historically given facts and depends entirely upon individual accidents, indeed upon the most pronounced exceptions.

How physics arrives at this procedure, which strikes the Aristotelian views of contemporary psychology as doubly paradoxical, begins to become intelligible when one envisages the necessary methodological consequences of the change in the ideas of the extent of lawfulness. When lawfulness is no longer limited to cases which occur regularly or frequently

[1] In psychology it is asserted, often with special emphasis, that one obtains, perhaps from the construction of baby tests, a representation of the "general human," because those processes are selected which occur most frequently in the child's daily life. Then one may expect with sufficient probability that the child will spontaneously display similar behavior in the test.

ومن ناحية أخرى فان قضية " الصدق عديم الاستثناء " لقوانين النفسية تجعل من المتاح للتقصى ، وخصوصا للتجريب ، عمليات من قبيل تلك التى لا تتكرر بنفس الشكل ، وعلى سبيل المثال ، بعض العمليات الوجدانية .

من المتوسط الى الحالة النقية

ان تقييما واضحا لبيذا الامر مايزال على أى نحو غير مألوف فى علم النفس . ان الطريقة الجديدة من الممكن — من وجهة النظر الارسطالية الابكر — أن تبدو على أنها تحجب التناقض الاساسى السابق ذكره [1] . فالمرء — فى الطريقة الجديدة هذه — يعلن عن رغبته فى أن يفهم " الواقع العيانى المكتمل " بدرجة أعلى مما هو ممكن مع المفاهيم الارسطالية ، ومع ذلك فانه يتناول هذا الواقع ضمن مساره التاريخى الفعلى وضمن اطاره الجغرافى المعطى كما هو حادث فى الواقع . ان الصدق العام ، مثلا ، لقانون الحركة على سطح مائل لا تتم اقامته بحساب المتوسط لاكبر عدد ممكن من الحالات لاحجار واقعية تتدحرج بشكل فعلى هابطة الى أسفل التلال ، ثم اعتبار هذا " المتوسط " على أنه أعظم الحالات احتمالا [2] . ان الصدق العام لهذا القانون يقوم بالحرى على التدحرج " عديم الاحتكاك " لكرة " مثالية " هابطة على طول سطح " مطلق " الاستقامة والصلابة ، بمعنى أنه يقوم على عملية لا يستطيع حتى المعمل الا أن يحدثها بشكل تقريبى ، عملية هى أعظم ماتكون بعدا عن احتمالية الحدوث فى الحياة اليومية [3] . ان المرء — فى الطريقة الجديدة — يعلن عن أنه يناضل للبلوغ الى الصدق العام والعيانية ، ومع ذلك فانه يستخدم طريقة (هى من وجهة نظر العصور السابقة) تتجاهل الوقائع المعطاة تاريخيا ، وتعتمد كل الاعتماد على الاحداث الفردية العارضة ، وفى واقع الامر ، تعتمد على أعظم الاستثناءات بروزا [4] .

أما كيف تبلغ الفيزيائيات الى هذه الطريقة (التى تصدم وجهات النظر الارسطالية لعلم النفس المعاصر ، على أنها مزدوجة التناقض) ، فذلك ما يبدأ فى الانفتاح للمعقولية عندما يضع المرء فى اعتباره النتائج الميثودولوجية الضرورية المترتبة على التغيير فى المفاهيم الخاصة بنطاق القانونية . فعندما تصبح القانونية غير قاصرة على الحالات التى تحدث بشكل " انتظامى أو متواتر

---

(1) أنظر صفحة ١٣ (٢) فى علم النفس تأكيد (غالبا بالحاح خاص) بأن المرء يحصل — ربما بعمل اختبارات الاطفال — على أمثال عن الكائن البشرى العام " وذلك لان هذه العمليات المنتقاة هى تلك التى تحدث بأعظم تواتر فى الحياة اليومية للطفل . وعندئذ يمكن للمرء أن يتوقع بدرجة كافية من الاحتمال بأن الطفل سوف يكشف تلقائيا عن سلوك مماثل فى الاختبار .

(٣) تلك هى " مثالية " القانون الذى يصل اليه العالم " بتفكير الوقائع " ، بمعنى اعادة بناء الوقائع فى صورة نموذج هيكلى (نمط كيفى) نمط علاقة مثالية ، بحيث تكون كل الحالات الاخرى مجرد تشكيلة تباينات واقعية وتبدلات وضعية له . أنظر " سيكولوجية الشخصية — د . مخيمر — الانجلو ص ٨ وما يليها ، انظر ايضا وحدة علم النفس — لاجاش — الترجمة العربية — د . مخيمر — الانجلو ص ٥٢ وما يليها .

(٤) تلك ثورة كوبرنيكية بمعنى الكلمة ، فقد أصبح القانون والصدق العام يصدر عن أشد الحالات استثناء بعد أن كان يصدر عن أشد الحالات تواترا . أنظر أيضا فى النص الحالى صفحة

but is characteristic of every physical event, the necessity disappears of demonstrating the lawfulness of an event by some special criterion, such as its frequency of occurrence. Even a particular case is then assumed, without more ado, to be lawful. Historical rarity is no disproof, historical regularity no proof of lawfulness. For the concept of lawfulness has been quite detached from that of regularity: the concept of the complete absence of exceptions to laws is strictly separated from that of historical constancy (the "forever" of Aristotle).[1]

Further, the content of a law cannot then be determined by the calculation of averages of historically given cases. For Aristotle the nature of a thing was expressed by the characteristics common to the historically given cases. Galileian concepts, on the contrary, which regard historical frequency as accident, must also consider it a matter of chance which properties one arrives at by taking averages of historical cases. If the concrete event is to be comprehended and the thesis of lawfulness without exception is to be not merely a philosophical maxim but determinative of the *mode of actual research*, there must be another possibility of penetrating the nature of an event, some other way than that of ignoring all individual peculiarities of concrete cases. The solution of this problem may only be obtained by the elucidation of the paradoxical procedures of Galileian method through a consideration of the problems of dynamics.

[1] The contrast between Aristotelian and Galileian views of lawfulness and the difference in their methods may be briefly tabulated as follows:

	For Aristotle	For Galileo
1. The regular is	lawful	lawful
The frequent is	lawful	lawful
The individual case is	chance	lawful
2. Criteria of lawfulness are	regularity frequency	not required
3. That which is common to the historically occurring cases is	an expression of the nature of the thing	an accident, only historically conditioned

بل خاصية مميزة لكل حدث فيزيائي ، عندئذ تسقط ضرورة البرهنة على قانونية حدث ما بمعيار خاص ما ، من قبيل تواتر حدوثه . وحتى الحالة الخصوصية يكون التسليم عندئذ ، بدون ماحاجة الى مزيد من الترجيح ، بأنها قانونية . فالندرة التاريخية ليست بدحض ، والانتظامية التاريخية للحدوث ليست باثبات ، للقانونية . ولأن مفهوم القانونية قد انسلخ تماما عن مفهوم " انتظامية الحدوث " فان مفهوم انعدام الاستثناءات تماما من القوانين هو بشكل صارم منفصل عن مفهوم الاستمرار التاريخي (تعبير " الى الابد " عند أرسطو) (١) .

وأكثر من ذلك ، فان مضمون القانون عندئذ لايمكن تحديده بحساب المتوسطات للحالات المعطاه تاريخيا . فعند ارسطو كانت طبيعة الشيء تعبر عنها الخصائص المشتركة بين الحالات المعطاه تاريخيا . أما المفاهيم الجاليلية ، على العكس ، والتى تنظر الى " التواتر التاريخي " على أنه عارض ، فيتحتم عليها أيضا أن تنظر اليه على أنه مسألة صدفة يصل المرء الى خصائصها بحساب المتوسطات للحالات التاريخية . واذا كان للحادثة العيانية أن تفهم وكان " القضية القانونية عديمة الاستثناء " ألا تكون مجرد مبدأ فلسفى بل تضطلع بتحديد أسلوب البحث الفعلى ، فعندئذ ينبغى أن تكون هناك امكانية أخرى للنفاذ الى طبيعة الحادثة ، طريقة أخرى غير تلك التى تتجاهل كل الخصوصيات الفردية للحالات العيانية . ان حل هذه المشكلة لايمكن الوصول اليه الا بتوضيح لطرائق المنهج الجاليلى الظاهرية التناقض ، وذلك بتناول لمشكلات الديناميات .

---

(١) ان التعارض مابين وجهات النظر الارسطالية والجاليلية عن القانونية ، والاختلاف بين طرائقهما يمكن تلخيصهما فى الجدول التالى :

	عند أرسطو	عند جاليليو
١ـ الانتظامى الحدوث هو	قانونى	قانونى
المتواتر هو	قانونى	قانونى
الحالة الفردية هى	صدفة	قانونية
٢ـ معايير القانونية هى	انتظامية الحدوث التواتر	غير مطلوبة
٣ـ ماهو مشترك بين الحالات الحادثة تاريخيا هو	تعبير عن طبيعة الشيء	مشروطة تاريخيا

Dynamics

Changes in the Fundamental Dynamic Concepts of Physics

The dynamic problems of physics were really foreign to the Aristotelian mode of thought. The fact that dynamic problems had throughout such great significance for Galileian physics permits us to regard dynamics as a characteristic consequence of the Galileian mode of thought.[1] As always, it involved not merely a superficial shift of interest, but a change in the content of the theories. Even Aristotle emphasized "becoming," as compared with his predecessors. It is perhaps more correct to say that in the Aristotelian concepts statics and dynamics are not yet differentiated. This is due especially to certain fundamental assumptions.

Teleology and Physical Vectors.

A leading characteristic of Aristotelian dynamics is the fact that it explained events by means of concepts which we today perceive to be specifically biological or psychological: *every object tends, so far as not prevented by other objects, toward perfection,* toward the realization of its own nature. This nature is for Aristotle, as we have already seen, that which is common to the class of the object. So it comes about that the class for him is at the same time the concept and the goal (τέλος) of an object.

This teleological theory of physical events does not show only that biology and physics are not yet separated. It indicates also that the dynamics of Aristotelian physics resembles in essential points the animistic and artificial mode of thought of primitive man, which views all movement as life and makes artificial manufacture the prototype of existence. For, in the case of manufactured things, the maker's idea of the object is, in one sense, both the cause and the goal of the event.

Further, for Aristotelian concepts the *cause* of a physical event was very closely related to psychological "drives": the object strives toward a certain goal; so far as movement is

[1] E. Mach, *The Science of Mechanics* (Eng. trans., 2d ed., rev.), Chicago, 1902.

الديناميات

التغيرات في المفاهيم الدينامية الاساسية للفيزيائيات

كانت المشكلات الدينامية للفزيائيات غريبة فى الواقع على الاسلوب الارسططالى فى الفكر . وبالنظر الى أن مشكلات الدينامية كانت لها فى كل كبيرة وصغيرة مثل هذه الدلالة العظيمة فى الفيزيائيات الجاليلية ،يكون لنا أن ننظر الى الديناميات كخاصية مميزة مترتبة على الاسلوب الجاليلى للفكر . وكما هو الشأن دائما فان هذا الامر قد أنطوى ليس فقط على مجرد نقله سطحية فى الاهتمام ، ولكن على تغيير فى مضمون النظريات. وحتى أرسطو نفسه قد ألح بالاهتمام ، على " الصيرورة " بالقياس الى أسلافه . وربما يكون أكثر دقة أن تقول بأنه فى المفاهيم الارسططالية ، لاتتمايز بعد الاستاتيات والديناميات وهذا يرجع بصفة خاصة الى مسلمات أساسية بعينها .

الغائية والمتجهات الفيزيائية

ان خاصية رئيسية للديناميات الارسططالية تنحصر فى أنها فسرت الاحداث عن طريق مفاهيم ندركها اليوم على أنها بشكل نوعى بيولوجية أو سيكولوجية : (كل شيء ينزع ، طالما لم تعوق اشياء أخرى ، الى الكمال) ، الى تحقيق طبيعة الخاصة . هذه الطبيعة عند أرسطو ،كما يسبق أن رأينا ، هى هذا الذى هو مشترك فى " الفئة " (الصنف) التى ينتمى اليها الشيء . وهكذا يتكشف الامر عن أن الفئة عنده هى فى الوقت نفسه مفهوم الشيء وغايته .

هذه النظرية الغائية للاحداث الفيزيائية ، لاترينا فحسب أن البيولوجيا والفيزيائيات ، لاينفصل بعد أحدهما عن الآخر ، بل تشير أيضا الى أن ديناميات الفيزيائيات الارسططالية تشبه فى نقاطها الرئيسية أسلوب للفكر الارواحى والاصطناعى عند الرجل البدائى هذا الذى ينظر الى كل حركة بحسبانها حياة ، ويتخذ من الاشياء المصنوعة " النموذج الاولى " للوجود . وذلك لانه فى حالة الاشياء المصنوعة ،تكون فكرة الصانع عن " الشيء " ، هى بمعنى سبب الحادثة وغايتها فى نفس الوقت .

واكثر من ذلك ، فبالنسبة الى المفاهيم الارسططالية ، كان " السبب " لحادثة فزيائية ، وثيق الصلة جدا " بالحوافز " السيكولوجية : فالشيء ينافس بلوغا الى غاية (هدف) بعينها ، وبقدر مايتعلق الأ...

concerned, it tends toward the place appropriate to its nature. Thus heavy objects strive downward, the heavier the more strongly, while light objects strive upward.

It is customary to dismiss these Aristotelian physical concepts by calling them anthropomorphic. But perhaps it would be better, when we consider that the same fundamental dynamic ideas are today completely dominant in psychology and biology, to examine the actual content of the Aristotelian theses as far as possible independently of the style of their presentation.

It is customary to say that teleology assumes a direction of events toward a goal, which causal explanation does not recognize, and to see in this the most essential difference between teleological and causal explanation. But this sort of view is inadequate, for the causal explanation of modern physics uses directed quantities, mathematically described vectors. Physical force, which is defined as "the cause of a physical change," is considered a directed, vectorial factor. In the employment of vectorial factors as the foundation of dynamics there is thus no difference between the modern and the Aristotelian view.

The real difference lies rather in the fact that *the kind and direction of the physical vectors in Aristotelian dynamics are completely determined in advance by the nature of the object concerned.* In modern physics, on the contrary, *the existence of a physical vector always depends upon the mutual relations of several physical facts*, especially upon the relation of the object to its environment.[1]

Significance of the Whole Situation in Aristotelian and Galileian Dynamics.

For Aristotelian concepts, the environment plays a part only in so far as it may give rise to "disturbances," forced modifications of the processes which follow from the nature of the object concerned. The vectors which determine an object's movements are completely determined by the object. That is,

[1] Naturally this applies also to internal causes, which involve the mutual relation of the parts of a physical system.

بالحركة ، فانه ينزع الى المكان الملائم لطبيعة . وهكذا فان الاشياء الثقيلة تناضل بلوغا الى أسفل ، وكلما كانت أثقل كان الامر بشكل أكثر قوة ، بينما الاشياء الخفيفة تناضل بلوغا الى أعلى .

ومن المألوف رفض هذه المفاهيم الفزيائية الارسططالية بتسميتها " تأنيسية " . ولكن ربما يكون من الافضل (عندما نضع اعتبارنا ، أن نفس الافكار الدينامية الاساسيه هى اليوم مهيمنة بشكل تام فى علم النفس والبيولوجيا) أن نتفحص المضمون الفعلى للقضايا الارسططالية فى استقلال الى أبعد حد ممكن عن أسلوب التقدمية الذى تتبدى عليه هذه القضايا .

ومن المألوف ، القول بأن الغائية تفترض " وجهة " للاحداث نحو غاية (هدف) الامر الذى لايعترف به التفسير السببى (العلى) ، واعتبار ذلك أعظم فارق أساسى بين التفسير الغائى والسببى . ولكن مثل هذه النظرة غير كافية ، لأن التفسير السببى للفزيائيات العصرية يستخدم كميات موجهة ، توصف من الناحية الرياضية بالمتجهات والقوة الفيزيائية التى ينص تعريفها على أنها " سبب التغير الفيزيائى " ، تعتبر عاملا متجهيا موجها (بفتح الجيم) وباستخدام العوامل " المتجهاتية " كأساس للديناميات لايكون بذلك أى اختلاف بين النظرة العصرية والنظرية الارسططالية .

ان الاختلاف الحقيقى يكمن بالحرى فى أن " نوع واتجاه المتجهات الفزيائية فى الديناميات الارسططالية هما محددان (بفتح الدال) بشكل تام سبقا بطبيعة الشىء المعنى" أما فى الفيزيائيات العصرية ، فعلى العكس فان " وجود متجه فزيائى يتوقف دائما على العلاقات المتبادلة بين وقائع فزيائية عديدة " ، وعلى الاخص يتوقف على علامة الشىء بيئته [1] .

دلالة الموقف كله فى الديناميات الارسططالية والجاليلية

بالنسبة الى المفاهيم الارسططالية ، لاتلعب البيئة دورا الا بقدر مايمكن أن تبتعث من " ازعاجات " ، تغييرات مقحمة على العمليات التى تنتج عن طبيعة الشىء المعنى . فالمتجهات التى تحدد حركات شىء ما ، يحددها بشكل تام الشىء نفسه . معنى ذلك ، انها . . . .

---

(١) ومن الطبيعى أن يصدق ذلك أيضا على الاسباب الداخلية ، التى تمثل العلاقة المتبادلة بين اجزاء النسق الفزيائى الواحد .

they do not depend upon the relation of the object to the environment, and they belong to that object once for all, irrespective of its surroundings at any given time. The tendency of light bodies to go up resided in the bodies themselves; the downward tendency of heavy objects was seated in those objects. In modern physics, on the contrary, not only is the upward tendency of a lighter body derived from the relation of this body to its environment, but the weight itself of the body depends upon such a relation.

This decisive revolution comes to clear expression in Galileo's classic investigations of the law of falling bodies. The mere fact that he did not investigate the heavy body itself, but the process of "free falling or movement on an inclined plane," signifies a transition to concepts which can be defined only by reference to a certain sort of situation (namely, the presence of a plane with a certain inclination or of an unimpeded vertical extent of space through which to fall). The idea of investigating free falling, which is too rapid for satisfactory observation, by resorting to the slower movement upon an inclined plane presupposes that the dynamics of the event is no longer related to the isolated object as such, but is seen to be dependent upon the whole situation in which the event occurs.

Galileo's procedure, in fact, includes a penetrating investigation of precisely the situation factors. The slope of the inclined plane, that is, the proportion of height to length, is defined. The list of situations involved (free falling, movement on an inclined plane, and horizontal movement) is exhausted and, through the varying of the inclination, classified. The dependence of the essential features of the event (for example, its velocity) upon the essential properties of the situation (the slope of the plane) becomes the conceptual and methodological center of importance.

This view of dynamics does not mean that the nature of the object becomes insignificant. The properties and structure of the object involved remain important also for the Galileian theory of dynamics. But the situation assumes as much importance as the object. *Only by the concrete whole which*

لاتتوقف على علاقة الشيء بالبيئة ، وانها تنتمي الى هذا الشيء مرة والى الأبد ،دون ما اعتبار للشروط المحيطة بهذا الشيء في أي وقت معطى . فنزعة الاجسام الخفيفة للصعود كانت تكمن في الاجسام ذاتها ، ونزعة الاشياء الثقيلة الى الهبوط كانت تستقر في هذه الاشياء . أما في الفيزيائيات العصرية تنتج من علاقة هذا الجسم ببيئته ، ولكن وزن هذا الجسم ، الوزن نفسه ، يتوقف على مثل هذه العلاقة .

هذه الثورة الحاسمة (١) تبلغ التعبير الصريح في تقصيات جاليليو الكلاسيكية لقانون سقوط الاجسام . وبمجرد كون جاليليو لم يقم بتقصي الجسم الثقيل نفسه ،بل عملية السقوط الطليق أو الحركة على سطح مائل " ، فذلك يعني انتقالا الى مفاهيم يستحيل تعريفها الا بالرجوع (٢) الى موقف نوعي معين (وعلى وجه التحديد) وجود سطح مائل بشكل معين أو وجود امتداد رأسي عديم العوائق من المكان يكون خلاله السقوط) . ان فكرة تقصي " السقوط الطليق " . (الذي هو أسرع ما ينبغي الى ملاحظة تبعث على الرضا بالالتجاء الى الحركة الا بطأ على سطح مائل انما تفترض سيقا ان ديناميات الحادثة لم تعد الآن تعتبر مرتبطة بالشيء " منعزلا " من حيث هو كذلك ،بل يكون النظر اليها على أنها تتوقف على الموقف كله الذي تحدث فيه الحادثة".

ان طريقة جاليليو في الواقع تنطوي على " تقص نفاذ " — على وجه الدقة — لعوامل الموقف . فانحدار السطح المائل — أي نسبة الارتفاع الى الطول — هو محدد. ان قائمة المواقف المتضمنة (بفتح الميم الثانية) (السقوط الطليق ، الحركة على سطح مائل ، والحركة الافقية) يتم استيعابها جميعا ومن خلال تنويع الانحدار يتم تصنيفها . ان توقف المعالم الرئيسية للحادثة (من قبيل السرعة) على الخصائص الرئيسية للموقف (انحدار السطح) يغدو مركز الاهمية من الناحيتين التصورية والميثودولوجية .

وهذه النظرة للديناميات لاتعني ان طبيعة الشيء تصبح عديمة الدلالة. فخصائص وبنيان الشيء المعني تبقى هامة ايضا في النظرية الجاليلية للديناميات . ولكن الموقف يحظى من الاهمية بقدر مايحظى به الشيء. (وفقط عن طريق الكل العياني الذي

---

(١) انظر في هذا النص. صفحة ٢٥

(٢) ذلك هو مبدأ الشرطية (المفاهيم الشرطية) والذي يكمل مبدأ المجانسة . فالوقائع (الاحداث) لم تعد فئات منعزلة وعوالم مستقلة تماما بعضها عن بعض على الطريقة — الارسطالية ، بل اصبحت متماثلة . لم تعد متطابقة كل التطابق أو متغايرة كل التغاير بل متماثلة ، بمعنى انها هي من حيث المبدأ (تنتمي الى نفس الجزء ومن هنا المجانسة)ولكنها تتجسد في تباينات واقعية لانهاية لتباينها تبعا للشروط المحيطة (ذلك هو التفكير بلغة السياقات أي مبدأ الشرطية) . تلك هي المفاهيم السلسلية التي تقوم على " المجانسة " و "الشرطية" ، التي ينبغي أن تأخذ مكان مفاهيم الفئات والاصناف الارسطالية . فالعلم عندما (يفكر الوقائع) بلغة السياقات أي ينظر اليها على أنها متماثلة ، يكون بوسعه أن يقوم " باعادة بنائها في صورة نمط للعلاقة التماثلية بين الجنبات الاساسية للظاهرة (ما يعرف بالنمط الكيفي أو الأنموذج الهيكلي) . وهذه العلاقة التماثلية التي يصل اليها العلم في صورة النظرية التفسيرية أو القانون الفهمي ، تتجسد تبعا للسياقات والشروط ، في تباينات " واقعية " لانهاية لتباينها ، ما يعرف بالتبدل الوظيفي في نظرية الجشطلت . (المترجم)

comprises the object and the situation are the vectors which determine the dynamics of the event defined.

In carrying out this view, Galileian physics tried to characterize the individuality of the total situation concerned as concretely and accurately as possible. This is an exact reversal of Aristotelian principles. The dependence of an event upon the situation in which it occurs means for the Aristotelian mode of thought, which wants to ascertain the general by seeking out the like features of many cases, nothing more than a disturbing force. The changing situations appear as something fortuitous that disturbs and obscures the essential nature. It was therefore valid and customary to exclude the influence of the situation as far as possible, to abstract from the situation, in order to understand the essential nature of the object and the direction of its goal.

Getting Rid of the Historical Bent.

The actual investigation of this sort of vectors obviously presupposes that the processes involved occur with a certain regularity or frequency (see page 6). For otherwise an exclusion of the differences of the situation would leave no similarities. If one starts from the fundamental concepts of Aristotelian dynamics, the investigation of the dynamics of a process must be more difficult—one might think here of emotion in psychology—the more it depends upon the nature of the situation concerned. The single event becomes thereby unlawful in principle because there is no way of investigating its dynamics.

The Galileian method of determining the dynamics of a process is directly opposed to this procedure. Since the dynamics of the process depends not only upon the object but also, primarily, upon the situation, it would be nonsensical to try to obtain general laws of processes by excluding the influence of the situations as far as possible. It becomes silly to bring in as many different situations as possible and regard only those factors as generally valid that are observed under all circumstances, in any and every situation. It must, on the

يشمل الشيء والموقف تتحد التجهات ، هذه التي تقوم بتحديد ديناميات الحادثة) .

وفي تنفيذ هذه النظرة حاولت الفيزيائيات الجاليلية تخصيص فردية الموقف الكلي المعني على أعظم نحو ممكن من العيانية والدقة . ذلك " قلب الى الضد " (١) ، على وجه الدقة للمبادئ الارسطالية . فتوقف حادثة ما على الموقف الذي تحدث فيه لايعني لاسلوب الفكر الارسطالي ، (هذا الذي يريد تأكيد " العام " بالبلوغ الى المعالم المشتركة بين حالات عديدة) ، شيئا أكثر من قوة مزعجة . والمواقف المتغيرة تبدو على أنها شيء عارض يعكر ويبهم الطبيعة الاساسية . ومن هنا كان من الصحيح والمألوف استبعاد تأثير الموقف بأقصى مايمكن ، للتجريد عن الموقف ، حتى يمكن فهم الطبيعة الاساسية للشيء ووجهة هدفه .

التخلص من النزعة التاريخية

ان التقصي الفعلي لهذا النوع من التجهات انما يفترض سبقا بشكل واضح أن العمليات المتضمنة (بفتح الميم) تحدث بشيء من " الانتظامية " أو التواتر (أنظر صفحة ٦) ، لانه بغير ذلك لن تكون من شأن استبعاد الاختلافات في الموقف ان تترك أية تماثلات . فعندما ينطلق المرء من المفاهيم الاساسية للديناميات الارسطالية ، فان تقصي ديناميات عملية ما يتحتم أن يكون أكثر عسرا (وهنا يمكن للمرء أن يتجه بتفكيره الى الانفعال في علم النفس) ويزداد الامر عسرا كلما توقفت العملية على طبيعة الموقف المعني . وبذلك تصبح الحادثة الوحيدة (٢) غير قانونية من حيث المبدأ ، لانه مامن وسيلة لتقصي دينامياتها .

أما الطريقة الجاليلية لتحديد ديناميات عملية ما ، فانها بشكل مباشر مناقضة لهذه الطريقة . فطالما ان ديناميات العملية تتوقف ليس فقط على الشيء ، بل أيضا ، وبشكل أساسي ، على الموقف ، فسوف يكون من الحماقة أن نحاول الحصول على قوانين عامة للعمليات باستبعاد تأثير المواقف الى اقصى حد ممكن . انه لمن الهلاهل أن نستحضر أعظم مايمكن من المواقف المختلفة ثم ننظر فقط الى تلك العوامل التي يمكن ملاحظتها تحت كل الظروف ــ في أي موقف وكل موقف ــ بحسبانها علامة الصدق . ينبغي على

---

(١) انظر في هذا النص صفحة ٢٥ .
(٢) انظر الواقعة المنفردة . (المترجم)

contrary, become important to comprehend the whole situation involved, with all its characteristics, as precisely as possible.

The step from particular case to law, from "this" event to "such" an event, no longer requires the confirmation by historical regularity that is characteristic of the Aristotelian mode of thought. This step to the general is automatically and immediately given by the principle of the exceptionless lawfulness of physical events.[1] What is now important to the investigation of dynamics is not to abstract from the situation, but to hunt out those situations in which the determinative factors of the total dynamic structure are most clearly, distinctly, and purely to be discerned. *Instead of a reference to the abstract average of as many historically given cases as possible, there is a reference to the full concreteness of the particular situations.*

We cannot here examine in great detail why not all situations are equally useful for the investigation of dynamics, why certain situations possess a methodological advantage, and why as far as possible these are experimentally set up. Only one circumstance, which seems to me very seldom to be correctly viewed and which has given rise to misunderstandings that have had serious consequences for psychology, requires elucidation.

We have seen above how Galileian concepts separated the previously undifferentiated questions of the historical course of events on one side and of the laws of events on the other. They renounced in systematic problems the immediate reference to the historic-geographic datum. That the procedure instituted does not, as might at first appear, contradict the empirical tendency toward the comprehension of the full reality may already be clear from our last consideration: the Aristotelian immediate relation to the historically regular and its average really means giving up the attempt to understand the particular, always situation-conditioned event. When this immediate relation is completely abandoned, when the place of historic-geographic constancy is taken by the position of the particular

[1] It is impossible here to go more fully into the problem of induction. (Cf. Lewin, *Gesetz und Experiment in der Psychologie*.)

العكس ان تكون الاهمية فى أن تفهم الموقف المعنى كله ، بكل خصائصه ، وعلى أعظم نحو ممكن من الدقة ٠

ان الخطوة من " الحالة الخصوصية " الى " القانون " ، من " هذه " الحادثة الى " مثل " هذه الحادثة ، لم تعد تتطلب تصديقا عليها " بانتظامية ـ الحدوث " ـ التاريخيه والتى تعتبر ميزة لاسلوب الفكر الارسطالى ٠ فهذه الخطوة الى " العام " متاحة على الفور بشكل آلى استنادا الى مبدأ القانونية عديمة الاستثناء للاحداث الفيزيائية (١) فما هو هام الان بالنسبة الى تقصى الديناميات ، ليس هو التجريد من الموقف ، بل تصيد تلك المواقف التى تكون فيها العوامل المحددة للبيان الدينامى الكلى أعظم ماتكون وضوحا وتميزا ، ونقاء بحيث يمكن ادراكها ٠ فبدلا من الرجوع الى المتوسط التجريدى لاعظم عدد ممكن من الحالات المعطاة تاريخيا ، يكون الرجوع الى العيانية المكتملة للمواقف الخصوصية) ٠

وليس من الممكن بالنسبة الينا هنا أن نفحص بشكل تفصيلى كبير ، العلة فى أن كل المواقف ليست متساوية الفائدة لتقصى الديناميات ، والعلة فى أن مواقف بعينها تنطوى على ميزة ميثودولوجية ، والعلة فى أن هذه المواقف المعينة ـ والى أبعد حد ممكن ـ تجريبية البنيان ٠ وحالة واحدة ليس غير (وهى التى تبدو لى نادرا ما حظيت برؤية صحيحة ، والتى تسببت فى اساءات فهم ، تمخضت عن نتائج خطيرة بالنسبة الى علم النفس) وهى وحدها التى تحتاج الى التوضيح ٠

وقد سبق أن رأينا كيف أن المفاهيم الجاليلية فصلت مسائل كانت من قبل غير متمايزة ، ونعنى المسار التاريخى للاحداث من ناحية وقوانين الاحداث من ناحية أخرى ٠ وقد رفضت هذه المفاهيم فى المشكلات النظامية الرجوع بشكل مباشر الى المعطية التاريخية الجغرافية ٠ أما أن الطريقة الجديدة التى أقيمت لاتتناقض (كما يمكن أن يبدو للوهلة الاولى) مع النزعة الامبريقية الى فهم الواقع المكتمل ، فذلك مايمكن أن يكون قد أتضح فعلا من الملاحظة الاخيرة التى قدمناها : أن العلاقة الارسطالية المباشرة بما هو ـ تاريخيا ـ " انتظامى الحدوث " ومتوسط انما تعنى فى الواقع التخلى عن محاولة فهم (الخصوصى " ، الذى هو دائما حادثة مشروطة بالموقف " وفقط ، عندما يكون التخلى تاما عن هذه العلاقة المباشرة ، وعندما تخلى " الاستمرارية " التاريخية الجغرافية مكانها للوضع الذى يتخذه " الخصوصى " فى ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

---

(١) يستحيل هنا أن نمعن فى المعنى بشكل أكثر اكتمالا فى مشكلة الاستقراء ٠

١٤

in the whole situation, and when (as in experimental method) it is just the same whether the situation is frequent and permanent or rare and transitory, only then does it become possible to undertake the task of understanding the real, always ultimately unique, event.

The Meaning of the Process Differential.

Methodologically there may seem to result here another theoretical difficulty which can perhaps be better elucidated

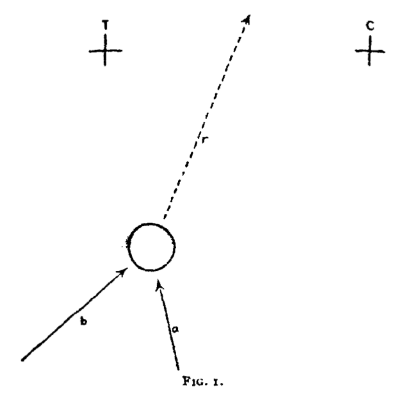


Fig. 1.

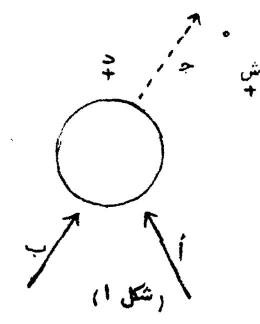
by a simple example than by general discussion. In order that the essentials may be more easily seen, I choose an example not from familiar physics but from problematical psychology. If one attempt to trace the behavior of a child to psychical field forces, among other things—the justification for this thesis is not here under discussion—the following objection might easily be raised. A child stands before two attractive objects (say a toy *T* and a piece of chocolate *C*), which are in different places (see Fig. 1). According to this hypothesis, then, there exist field forces in these directions (*a* and *b*). The

الموقف الكلى ، وعندما يكون الامر هو نفسه تماما (كما هو الشأن فى المنهج التجريبى ، سياق كان الموقف متواترا ومستمرا أو كان نادرا وعارضا ، نقول فقط عندئذ ، يصبح من الممكن ان تصطلح بمهمة فهم الواقع ، هذا الذى هو دائما فى نهاية الامر حادثة فى بنده .

معنى العملية التماثلية

ويمكن من الناحية الميثودولوجية أن تنجم عن ذلك فيما يبدو صعوبة نظرية أخرى ، والتى يمكن عن طريق مثال بسيط توضيحها بشكل أفضل مما هو ممكن بمناقشة عامة . ولكيما تكون من الممكن رؤية الاساسيات بشكل أكثر يسرا ، فانى انتقى مثالا ، لا من الفيزيائيات المألوفة بل من علم النفس هذا الذى يحتمل النقاش والجدل . فاذا حاول المرء أن يتتبع سلوك طفل بالنسبة الى قوى المجال النفسى ، وذلك بين أشياء أخرى (وتبرير هذه القضيه ليس هنا موضع مناقشة) فمن الممكن بسهولة اثارة الاعتراض التالى .

طفل يقف أمام شيئين جذابين (ولنقل دمية " د " وشيكولاته " ش ") ، يوجدان فى مكانين مختلفين (انظر شكل ١) . وحسب هذا الفرض ، توجد عندئذ ، قوتان فى المجال فى هذين الاتجاهين (أ ، ب) .



(شكل ١)

11

proportional strength of the forces is indifferent, and it does not matter whether the physical law of the parallelogram of forces is applicable to psychical field forces or not. So far, then, as a resultant of these two forces is formed, it must take a direction (r) which leads neither to T nor to C. The child would then, so one might easily conclude according to this theory, reach neither T nor C.[1]

In reality such a conclusion would be too hasty, for even if the vector should have the direction r at the moment of starting, that does not mean that the actual process permanently retains this direction. Instead, *the whole situation changes with the process*, thus changing also, in both strength and direction, the vectors that at each moment determine the dynamics. Even if one assumes the parallelogram of forces and in addition a constant internal situation in the child, the actual process, because of this changing in the situation, will always finally bring the child to one or the other of the attractive objects (Fig. 2).[2]

What I would like to exhibit by this example is this: if one tries to deduce the dynamics of a process, particularly the vectors which direct it, from the actual event, one is compelled to resort to process differentials. In our example, one can regard only the process of the first moment, not the whole course, as the immediate expression of the vector present in the beginning of the situation.

The well-known fact that all, or at least most, physical laws are differential laws[3] does not seem to me, as is often supposed, to prove that physics endeavors to analyze everything into the smallest "elements" and to consider these elements in the most perfect possible isolation. It proceeds rather from the circumstance that physics since Galileo no longer regards the historic course of a process as the immediate expression of the vectors

[1] I am neglecting here the possibility that one of the field forces entirely disappears.

[2] Even if the distances of the attractive objects and the strength of their attractions were equal, the resulting conflict situation would lead to the same result, owing to the lability of the equilibrium.

[3] H. Poincaré, *La Science et l'hypothèse*, Paris, 1916.

والشدة النسبية للقوتين لاتقدم ولاتؤخر ، وليس مما يهم ما ان كان القانون الفيزيائي " لمتوازي توازي القوى " يمكن تطبيقه على قوى المجال النفسيه أم لا . وعليه ، فبقدر ماتتكون محصلة لهاتين القوتين ، يتحتم عليها أن تكون في الاتجاه (ح) ، والذى لايؤدى لا الى " د " ولا الى " ش " ، ومن ثم فان الطفل لن يكون في وسعه (فذلك مايستطيع المرء بسهولة أن يستنتجه تبعا لهذه النظريه) أن يبلغ لا الى " د " ولا الى " ش " (١)

وفي واقع الامر يكون مثل هذا الاستنتاج مسرف التعجل ، وذلك لانه حتى اذا كان على " المتجه " أن يتخذ الوجهة " ج " في لحظة البداية ، فذلك لايعني أن العملية الفعلية سوف تحتفظ ، بشكل مستمر ، بهذه الوجهة . وبدلا من ذلك ، فان الموقف كله يتغير مع العملية ، مغيرا بذلك أيضا ، " من حيث الشدة والوجهة كليهما " ، " المتجهات " التي تحدد في كل لحظة الديناميات . وحتى اذا افترض المرء " متوازي توازي القوى " والاضافة الى ذلك ثبات الحالة الداخلية في الطفل ، فان العملية الفعلية ، بسبب هذا التغير في الموقف سوف تتأدى بالطفل دائما آخر الامر ، الى الواحد أو الآخر من الشيئين الجذابين (انظر شكل ٢) (٢) ، والذى أريد توضيحه من هذا المثال هو مايلي :

> اذا حاول المرء أن يستنتج ديناميات عملية ما ، (وعلى الخصوص "المتجهات" التي توجهها) من الحادثة الفعلية ، فانه يجد نفسه مضطرا الى أن يلجأ الى عملية التمايزات . وفي مثالنا يستطيع المرء فقط أن يعتبر العملية في لحظتها الاولى ــ وليس المسار كله ــ بحسبانها التعبير المباشر عن المتجه القائم في بداية الموقف .

والحقيقة المعروفة تماما والتي مؤداها ان كل ، (او على الاقل معظم) القوانين الفيزيائية انما هي قوانين تمايزية لاتبدو بالنسبة لي (كما هو مفترض في الغالب) دليلا على ان الفيزيائيات تحاول تحليل كل شيء الى أكثر العناصر صغرا ، ودراسة هذه العناصر في انعزال أعظم مايمكن أن يكون اكتمالا . ان هذه الحقيقة ترجع بالحرى الى أن الفيزيائيات منذ جاليليو لم تعد تنظر الى المسار التاريخي لعملية ما على انه التعبير المباشر عن المتجهات

---

(١) انى أغفل هنا امكانية أن تختفي تماما قوة من قوى المجال .

(٢) وحتى اذا كانت مسافة الشيئين الجذابين وكانت شدة جاذبيتهما متساوية ، فموقف الصراع الناتج سوف يؤدى الى نفس النتيجة ، وذلك بسبب " تغيرية " الاتزان .

٦٨

determinative of its dynamics. For Aristotle, the fact that the movement showed a certain total course was proof of the existence of a tendency to that course, for example, toward a perfect circular movement. Galileian concepts, on the contrary, even in the course of a particular process, separate the quasi-historical from the factors determining the dynamics. They refer to the whole situation in its full concrete individuality, to the state of the situation at every moment of time.

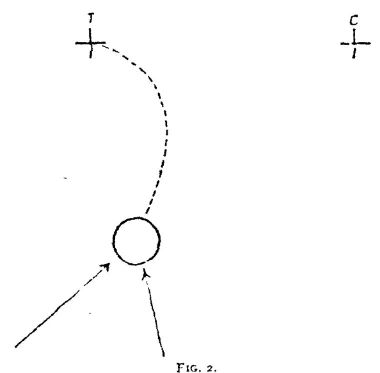
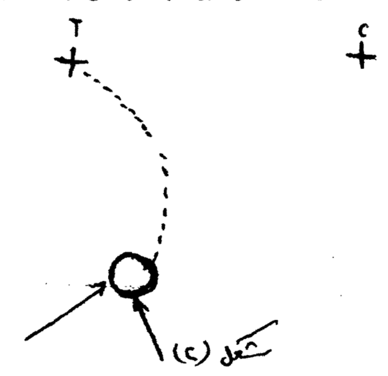


FIG. 2.

Further, for Galileian concepts, the forces, the physical vectors which control the situation, are proved by the resulting process. However, it is valid to exclude the quasi-historical in order to get the pure process, and therefore necessary to comprehend the type of process by recourse to the process differential, because only in the latter, and hence unmixed, is it expressed. This recourse to the process differential thus arises not, as is usually supposed, from a tendency to reduce all events to their "ultimate elements," but as a not immediately obvious complementary expression of the tendency to derive the dynamics from the relation of the concrete particular to the concrete whole situation and to ascertain as purely and as

التي تحدد ديناميااتها • فعند ارسطو كانت الواقعة " التي مؤداها أن الحركة كشفت عـن مسار بعينه " دليلا على وجود نزعة الى هذا المسار ، مثل قبيل النزعة الى الحركة الدائرية المكتملة أما المفاهيم الجاليلية ، فعلى العكس ، فانها حتى في مسار عملية فردية ، تعزل – شبـه التاريخى عن العوامل المحددة للديناميات • انها ترجع الى الموقف كله في فرديتـه العيانية المكتملة الى الحالة التي يكون عليها الموقف في كل لحظة من الوقت •



شكل (٢)

وأكثر من ذلك بالنسبة الى المفاهيم الجاليلية ، فان القوى ، المتجهات الفزيائيـة التي تحكم الموقف ، يكون اثباتها عن طريق العملية الناتجة • وعلى أية حال ، يكون مـن الصحيح أن تستبعد شبه التاريخى حتى نحصل على العملية النقية ، ومن ثم يكون مـن الضرورى أن نفهم نمط العملية بالاتجاه الى العملية التمايزية ، وذلك لانه فقط في هذه العملية التمايزية ، وذلك لانه فقط في هذه العملية التمايزية – وبالتالى في صورة غير مختلطـة – توجد العملية النقية • وهكذا فان هذا الاتجاه الى العملية التمايزية لا ينبعث (كما هو مفتـرض في العادة) من نزعة الى خفض كل الاحداث الى " عناصرها الاولية " ولكن كتعبير متمـم (غير واضح بشكل مباشر) عن النزعة الى استخلاص الديناميات من علاقة " الفردى العيانـي " بالموقف العيانى كلـه " والى تأكيد – بأعظم مايمكـن من النقـاء • • • • • • •

unmixed with historic factors as possible the type of event with which this total situation is dynamically related.

Experimentally also it is important to construct such situations as will actually yield this pure event, or at least permit of its conceptual reconstruction.

Methodological.

It remains to examine more closely the logical and methodological consequences of this mode of thought. Since law and individual are no longer antitheses, nothing prevents relying for proof upon historically unusual, rare, and transitory events, such as most physical experiments are. It becomes clear why it is very illuminating, for systematic concepts, to produce such cases, even if not exactly for the sake of their rarity itself.

The tendency to comprehend the actual situation as fully and concretely as possible, even in its individual peculiarities, makes the most precise possible qualitative and quantitative determination necessary and profitable. But it must not be forgotten that only this task, and not numerical precision for its own sake, gives any point or meaning to exactness.

Some of the most essential services to knowledge of the quantitative, and in general of the mathematical, mode of representation are (1) the possibility of using continuous transitions instead of dichotomies in characterization, thereby greatly refining description, and (2) the fact that with such functional concepts it is possible to go from the particular to the general without losing the particular in the general and thereby making impossible the return from the general to the particular.

Finally, reference should be made to the method of approximation in the description of objects and situations, in which the continuous, functional mode of thought is manifest.

Fundamental Dynamic Concepts in Psychology

The dynamic concepts of psychology today are still thoroughly Aristotelian,[1] and indeed the same internal relations

[1] The same holds, incidentally, for biology, which I cannot here especially examine, although I regard psychology in general as a field of biology.

بعدم الاختلاط بالعوامل التاريخية ـ نمط الحادث الذى يرتبط به بشكل دينامى هذا الموقف الكلى .

ومن الناحية التجريبية ايضا يكون من المبهم اقامة مثل هذه المواقف التى سوف تتمخض بالفعل عن هذه الحادثة النقية ، أو على الاقل تسمح ببنائها تصوريا .

من الناحية الميثودولوجية

يبقى علينا أن نتفحص بدقة أكبر ، النتائج المنطقيه والميثودولوجية المترتبة على اسلوب الفكر هذا . ومادام " القانون " و " الفردى " لم يصبحا الان " نقائض " ، فما من شىء يمنع من التحويل ـ بلوغا الى البرهان ـ على ماهو من الناحية التاريخية استثنائى نادر ، وعارض من الاحداث ، كما هو الحال فى معظم التجارب الفيزيائية . ويغدو من الواضح ، العلة فى أنه جد تنويرى بالنسبة الى المفاهيم النظامية أن نستحدث مثل هذه الحالات ، حتى وان لم يكن ذلك على وجه الدقة من أجل ندرتها بالذات .

ان النزعة الى فهم الموقف الفعلى بأعظم مايمكن اكتمالا وعيانية حتى فى خصوصياته الفردية المميزة ، هى التى تؤدى الى أعظم مايمكن دقة من تحديد كيفى وكمى ، ضرورى قدر ماهو مفيد . ولكن لاينبغى أن ننسى ، أن هذه المهمة وحدها ، وليست الدقة الرقمية فى ذاتها ، هى التى تعطى اية قيمة أو دلالة للدقة الصارمة .

ومن أعظم الخدمات اساسية بالنسبة الى معارف ذلك الاسلوب من الامتثال الكمى صورة عامة الرياضى مايلى : ـ ١ ـ امكانية استخدام التحولات الانتقالية المتصلة ، بدلا من الثنائيات للتخصيص ، وبالتالى تحسن هائل فى الوصف . و ٢ ـ انه يمثل هذه المفاهيم الوظيفية دون من الممكن المضى من " الخصوصى " (الفردى) الى " العام " ، دون أن يضيع الخصوصى فى العام ، ومن ثم تكون العودة مستحيلة من العام الى الخصوصى .

وأخيرا ، تنبغى الاشارة الى أسلوب التقريب فى وصف الاشياء والمواقف ، حيث يظهر اسلوب الفكر الوظيفى الاتصالى .

المفاهيم الدينامية الاساسية فى علم النفس

ان المفاهيم الدينامية فى علم النفس اليوم ماتزال بكليتها ارسطالية [1] ، وفى الواقع فان نفس العلاقات الداخلية . . . .

---

(١) وبشكل عارض يصدق نفس الشىء ، ايضا على البيولوجيا ، والقولا أستطيع هنا أن اتناولها بشكل خاص ، على الرغم من أننى أنظر الى علم النفس بصفة عامة بحسبانه مجالا من مجالات البيولوجيا .

and motives seem to me here displayed, even to the details.

Aristotelian Ideas: Independence of the Situation; Instinct.

In content, which is easiest to exhibit and indeed hardly requires exposition, psychological dynamics agrees most completely with Aristotelian concepts: it is teleology in the Aristotelian sense. The traditional mistake of regarding causal explanation as an explanation without the use of directed forces has notably retarded the progress of dynamics, since psychological dynamics, like physical, cannot be understood without the use of vector concepts. It is not the fact that directed quantities are employed in psychological dynamics that gives it its Aristotelian character, but the fact that the process is ascribed to vectors connected with the object of investigation, for example, with the particular person, and *relatively independent of the situation.*

The concept of instinct in its classical form is perhaps the most striking example of this. The instincts are the sum of those vectors conditioned by predispositions which it is thought must be ascribed to an individual. The instincts are determined essentially by finding out what actions occur most frequently or regularly in the *actual life* of the individual or of a group of like individuals. That which is *common* to these frequent acts (*e.g.*, food getting, fighting, mutual aid) is regarded as the *essence* or essential nature of the processes. Again, completely in the Aristotelian sense, these abstract class concepts are set up as at once the goal and the cause of the process. And indeed the instincts obtained in this way, as averages of historical actuality, are regarded as the more fundamental the more abstract the class concept is and the more various the cases of which the average is taken. It is thought that in this way, and only in this way, those "accidents" inherent in the particular case and in the concrete situation can be overcome. For the aim that still completely dominates the procedure of psychology in large fields is founded

والدوافع تكشف هنا ، فيما يبدو لي ، عن نفسها حتى في التفصيلات .

الافكار الارسطوطالية استقلالية الموقف . الغريزة .

من حيث المضمون (وهو الاكثر يسرا في بيانه بل لايكاد في الواقع يحتاج الى عرض له) فان ديناميات علم النفس تتفق بأعظم مايمكن من الاكتمال مع المفاهيم الارسطوطالية تلك هي الغائية بالمعنى الارسطوطالي للكلمة . ان الخطأ التقليدي الذي يعتبر " التفسير السببي " على انه تفسير لايستخدم القوى الموجهة (بفتح الجيم) ، قد قام بشكل ملحوظ بتأخير تقدم الديناميات ،طالما أن الديناميات السيكولوجية ، كالديناميات الفيزيائية ،لا يمكن فهمها بدون استخدام مفاهيم " المتجهات " . وليس كون " الكميات الموجهة " (بفتح الجيم) تستخدم في الديناميات السيكولوجية ، هو الذي يعطيها طابعها الارسطوطالي ،بل كون العملية تنسب (بضم التاء) الى متجهات مرتبطة بالشيء موضوع البحث ، من قبيل أن تكون مرتبطة بفردية الشخص المعني وبشكل نسبي في استقلال عن الموقف .

ومفهوم الغريزة في صورته الكلاسيكية ربما يكون أوضح مثال على ذلك . فالغرائز هي مجموع هذه المتجهات المشروطة بالاستعدادات التي يتحتم . بحسب الاعتقاد ـ نسبتها الى الفرد . فالغرائز تتحدد أساسا بتبين تلك الافعال التي تحدث بأعظم تواتر أو بشكل " انتظامي " في " الحياة الفعلية " للفرد او الحياة الفعلية بمجموعة من الافراد المماثلين . فما هو مشترك من هذه الافعال المتواترة (من قبيل الحصول على الطعام ، والمقاتلة ، والعون المتبادل) يعتبر " الماهية " او الطبيعة الاساسية للعمليات . ومرة أخرى ، وتماما بالمعنى الارسطوطالي ، فان " مفاهيم الفئة التجريدية " هذه ،تقام بحسبانها في نفس الوقت ، هدفي العملية وسببها . وفي الواقع فان الغرائز التي يتم التوصل اليها بهذه الطريقة ،كمتوسطات " للتحقق الفعلي " التاريخي ، تعتبر على أنها أكثر اساسية بقدر مايكون مفهوم الفئة أكثر تجريدية وبقدر ماتكون الحالات التي تحسب متوسطاتها أكثر تنوعا . والمعتقد انه بهذه الطريقة ، فقط بهذه الطريقة ، يمكن التغلب على هذه الاحداث العارضة اللصيقة بالحالة الفردية بالموقف المعاني . فالهدف الذي مايزال وبشكل تام يهيمن على طريقة علم النفس في مجالات فسيحة ، انما يقوم على

upon its effort to free itself of the connection to specific situations.

Intrinsic Difficulties and Unlawfulness.

The whole difference between the Aristotelian and Galileian modes of thought becomes clear as soon as one sees what consequences, for a strict Galileian view of the concept of law, follow from this close and fixed connection of the instinct to the individual "in itself." In that case the instinct (*e.g.*, the maternal) must operate continually without interruption; just as the explanation of negativism by the "nature" of the three-year-old child entails for Galileian concepts the consequence that all three-year-old children must be negative the whole day long, twenty-four hours out of the twenty-four.

The general Aristotelian set of psychology is able to dodge these consequences. It is satisfied, even for proof of the existence of the vectors which should explain the behavior, to depend upon the concept of regularity. In this way it avoids the necessity of supposing the vector to be existent in every situation. On the basis of the strict concept of law it is possible to disprove the hypothesis, for example, of the existence of a certain instinct by demonstrating its nonexistence in given concrete cases. Aristotelian concepts do not have to fear such disproofs, inasmuch as they can answer all references to concrete particular cases by falling back on mere statistical validity.

Of course these concepts are thereby also unable to explain the occurrence of a particular case, and by this is meant not the behavior of an abstractly defined "average child," but, for example, the behavior of a certain child at a certain moment.

The Aristotelian bent of psychological dynamics thus not only implies a limitation of explanation to such cases as occur frequently enough to provide a basis for abstracting from the situation, but leaves literally any possibility open in any particular case, even of frequent events.

Attempts at Self-correction: the Average Situation.

The intrinsic difficulties for dynamics which the Aristotelian mode of thought brings with it, namely, the danger of destroying

ماتبذله تلك الطريقة من جهد لتحرر نفسها من الارتباط بالمواقف النوعية ٠

العموميات الصميمة وعدم القانونية

ان كل الاختلاف بين اسلوبى الفكر الارسطالى والجاليلى يغدو واضحا بمجرد تبيـن النتائج ـ بالنسبة الى النظرة الجاليلية الصارمة لمفهوم القانون ـ التى تنتج عن ذلك الارتباط الوثيق والثابت للغريزة بالفرد " فى ذاته " ٠ فى هذه الحالة يتحتم علـى الغريزة (مثلا الامومة) أن تعمل عملها بشكل متصل دون توقف ،تماما كما أن تفسيـر " الخلفة " بواسطة " طبيعة " طفل السنة الثالثة يستلزم بالنسبة الى المفاهيم الجاليليـة تلك النتيجة التى مؤداها أن كل أطفال السنة الثالثة يتحتم عليهم أن يكونوا " خلفييـن " طول اليوم ولأربع وعشرين ساعة فى الاربع والعشرين ساعة ٠

والنسق الارسطالى العام لعلم النفس بوسعه أن يروغ من هذه النتائج ٠ فهـذا النسق يكفيه (حتى بالنسبة الى البرهنة على وجود المتجهات التى عليها أن تقوم بتفسير السلوك) أن يعول على مفهوم " انتظامية الحدوث " ٠ وبهذه الطريقة يتجنب النسـق الارسطالى ضرورة افتراض وجود المتجه فى كل موقف ٠ واستنادا الى المفهوم الصـارم للقانون يكون من الممكن دحض الفرض ، مثلا ،الخا برهوجود غريزة بعينها وذلك بالتدليل على عدم وجودها فى حالات عيانية بعينها ٠ والمفاهيم الارسطالية ليس لها أن تخاف من مثل هـذه الدحوض ، وذلك بقدر مايظل بوسعها أن تجيب على كل اشارة الى الحالات الفرديـة العيانية بالعودة الى مجرد الصدق الاحصائى ليس غير ٠

وبالتالى فان هذه المفاهيم الارسطالية عاجزة ايضا بالطبع عن تفسير حدوث حالة فردية ، وبهذا نعنى لا سلوك " طفل متوسط " تجريدى التحدد ، بل مثلا ، سلـوك طفل بعينه فى لحظة بعينها ٠

وبذلك فان النزعة الارسطالية للديناميات السيكلوجية ليس فقط تنطوى على " حـد من التفسير " يقصره على مثل تلك الحالات التى تحدث بدرجة كافية من التواتر بحيـث تتيح دعامة لعملية التجريد من الموقف ، ولكنها تترك (وبالمعنى الحرفى للكلمة) أيـة امكانية مفتوحة فى اية حالة فردية ، حتى وان تكن احداثها متواترة ٠

محاولات للتصحيح الذاتى : الموقف المتوسط

ان العموميات الصميمـة للديناميات والتى يجلبها معـه اسلوب الفكر الارسطالى (وعلى التحديـــد خطـــر تدمير ٠

the explanatory value of the theory by the exclusion of the situation, are constantly to be observed in contemporary psychology and lead to the most singular hybrid methods and to attempts to include the concept of the situation somehow. This becomes especially clear in the attempts at quantitative determination. When, for example, the question is raised and an attempt made to decide experimentally how the strengths of various drives in rats (perhaps hunger, thirst, sex, and mother love) compare with each other, such a question (which corresponds to asking in physics which is stronger, gravitation or electromotive force) has meaning only if these vectors are ascribed entirely to the rat and regarded as practically independent of the concrete whole situation, independent of the condition of the rat and its environment at the moment. Such a fixed connection is, of course, ultimately untenable, and one is compelled at least in part to abandon this way of thinking. Thus the first step in this direction consists in taking account of the *momentary condition of the drive* with regard to its state of satiation: the various possible degrees of strength of the several drives are ascertained, and their maximal strengths are compared.

It is true, of course, that the Aristotelian attitude is really only slightly ameliorated thereby. The curve expresses the statistical average of a large number of cases, which is not binding for an individual case; and, above all, this mode of thought applies the vector independently of the structure of the situation.

To be sure, it is not denied that the situation essentially determines the instinctive behavior in the actual particular case, but in these problems, as in the question of the child's spontaneous behavior in the baby tests, it is evident that no more is demanded of a law than a behavioral average. The law thus applies to an average situation. It is forgotten that there just is no such thing as an "average situation" any more than an average child.

Practically, if not in principle, the reference to the concept of an "optimal" situation goes somewhat further. But even here

القيمة التفسيرية للنظرية باستبعاد الموقف) ينبغى دائما أن نتنبه اليها فى علم النفس المصرى والتى تؤدى الى أعظم الطرائق المختلطة غرابة والى محاولات لاستدماج مفهوم الموقف على نحو أو آخر • ويغدو هذا واضحا بصفة خاصة فى المحاولات التى تستهدف التحديد الكمى • فعندما يثار مثلا السؤال عن « وتبذل محاولة للبت تجريبيا فى «الكيفية التى تعمل بها قوى الحوافز المختلفة فى الفيران (ربما الجوع ، العطش ، والجنس وحنان الام) فى مقارنتها الواحدة بالاخرى فان مثل هذا السؤال (والذى يناظر فى الفيزيائيات التساؤل عن ايهما أكثر قوة ، الجاذبية أو القوة المحركة الكهربية) لاينطوى على دلالة الا اذا كانت هذه المتجهات تنتسب بكليتها الى الفأر وتعتبر عليا فى استقلالية عن الموقف المياني كله ، وفى استقلالية عن الحالة التى يكون عليها الفأر وعن بيئته فى هذه اللحظة • مثل هذا الارتباط الثابت ، وهو بالطبع فى نهاية الامر يستحيل البلوغ اليه ، ويجد المرء نفسه مرغما على الاقل بشكل جزئى على التخلى عن اسلوب الفكر هذا • وبذلك فان الخطوة الاولى فى هذا الاتجاه تنحصر فى أن نضع فى اعتبارنا " الحالة الوقتية للحافز " بالنظر الى حالة تشبع هذا الحافز : الدرجات الممكنة المختلفة لقوة الحوافز العديدة يتم التثبيت بها ، ومقارنة قواها العضوية •

وصحيح بالطبع ان الاتجاه الارسططالى قد تحسن بذلك وان يكن فقط بشكل هين فى الواقع • فالمنحنى يقدم المتوسط الاحصائى لعدد كبير من الحالات ، ولكنه غير ملزم لحالة فردية • وفوق ذلك كله فان اسلوب الفكر هذا يستخدم " المتجه " فى استقلالية عن بنيان الموقف •

وبالتأكيد ما من انكار للحقيقة التى مؤداها ان الموقف يحدد بشكل أساسى السلوك الغريزى فى الحالة الفردية الفعلية ، ولكن فى هذه المشكلات (كما هو الشأن بالنسبة الى السلوك التلقائى للفعل فى اختبارات الاطفال) يكون من الواضح ان ما من شىء آخر مطلوب من القانون أكثر من " متوسط سلوكى " • وبذلك فى القانون يصدق على " موقف متوسط " • ويغيب عن البال أنه لايوجد شىء من هذا القبيل ونعنى " موقف متوسط " تماما كما لايوجد طفل " متوسط " •

ومن الناحية العملية — ان لم يكن من حيث المبدأ — فان الرجوع الى مفهوم موقف " أشل يمضى فى المضى بعيدا بدرجة أكبر بعض الشىء • ولكن حتى هنا

the concrete structure of the situation remains indeterminate: only a maximum of results in a certain direction is required.

In none of these concepts however are the two fundamental faults of the Aristotelian mode of thought eliminated: the vectors determining the dynamics of the process are still attributed to the isolated object, independently of the concrete whole situation; and only very slight demands are made upon the validity of psychological principles and the comprehension of the concrete actuality of the individual single process.

This holds true even for the concepts immediately concerned with the significance of the situation. As mentioned before, the question at the center of the discussion of the situation is, quite in the Aristotelian sense, how far the situation can hinder (or facilitate). The situation is even considered as a constant object and the question is discussed: which is more important, heredity or environment? Thus again, on the basis of a concept of situation gotten by abstraction, a dynamic problem is treated in a form which has none but a statistical historical meaning. The heredity or environment discussion also shows, even in its particulars, how completely these concepts separate object and situation and derive the dynamics from the isolated object itself.

The role of the situation in all these concepts may perhaps be best exhibited by reference to certain changes in painting. In medieval painting at first there was, in general, no environment, but only an empty (often a golden) background. Even when gradually an environment did appear it usually consisted in nothing more than presenting, beside the one person, other persons and objects. Thus the picture was at best an assembling of separate persons in which each had really a separate existence.

Only later did the space itself exist in the painting: it became a whole situation. At the same time this situation as a whole became dominant, and each separate part, so far indeed as separate parts still remain, is what it is (*e.g.*, in such an extreme as Rembrandt) only in and through the whole situation.

فان البنيان العياني للموقف يظل غير محدد : فقط ء حد أقصى من النتائج فى اتجاه بعينه هو المطلوب •

وعلى أية حال فليس فى أى مفهوم من هذه المفاهيم تغيب تلك الغلطتان الاساسيتان لاسلوب الفكر الارسطالى : فالمتجهات المحددة (بكسر الدال) لديناميات العملية ماتزال تنتسب الى الشيء منعزلا ، فى استقلالية عن الموقف العيانى كله ، وفقط قدر ضئيل جدا ليس غير من المقتضيات مطلوب من معدن المبادىء السيكولوجية وفهم التحقق العيانى الفعلى للعملية الفردية المنفردة •

ويصدق هذا حتى على المفاهيم التى تختص مباشرة بدلالة الموقف • وكما سبق ذكره ، فان السؤال الذى يحتل المركز فى مناقشة الموقف ، هو (بالمعنى الارسطالى تماما) ، الى أى حد يمكن للموقف ان يعوق أو (ييسر) • بل ان الموقف يعتبر شيئا ثابتا وتكون مناقشة السؤال : أيهما أكثر اهمية ، الوراثة أم البيئة ؟ • وبذلك ومن جديد (استنادا الى مفهوم للموقف كان البلوغ اليه بالعملية التجريدية) ، يكون التناول لمشكلة الدينامية فى صورة ليس لها من معنى غير المعنى التاريخى الاحصائى • ومناقشة الوراثة او البيئة تكشف هى الاخرى ، حتى هى فى خصوصياتها الفردية ، كيف ان هذه المفاهيم تعزل بشكل تام الشيء والموقف وتشتق الديناميات من الشيء المعزول نفسه •

والقاعدة بالنسبة الى الموقف فى كل هذه المفاهيم ربما يمكن بيانها على أفضل نحو بالرجوع الى بعض التغييرات فى علم الرسم • ففى رسوم العصور الوسطى ، لم تكن هناك فى البداية وبشكل عام بيئة بل فقط خلفية خلوية (ذهبية اللون فى الغالب) • وحتى عندما شرعت البيئة تظهر بالتدريج لم تكن فى العادة تشتمل على شيء أكثر من مجرد اضافة الى جانب الشخص لاشخاص آخرين او لاشياء أخرى • وبذلك كانت اللوحة فى أحسن حالاتها تجميعا لاشخاص مستقلين ينعم فيها كل شخص حقا بوجود مستقل •

وفقط فى وقت لاحق شرع المكان نفسه يوجد فى الرسوم : غدا موقفا كليا • وفى نفس الوقت فان هذا الموقف من حيث هو كل قد غدا مهيمنا ، وكل جزء مستقل أو ذلك بقدر ماتزال الاجزاء المستقلة باقية حقا) هو ماهو عليه (فى حالة قصية مثل رمبران) فقط ضمن ومن خلال الموقف الكلى (١) .

---

(١) اشارة الى قانون العضوية فى نظرية الجشطلت " ان الجزء هو ماهو عليه بالرجوع الى الكل الذى ينتمى اليه " بمعنى أن الجزء يتحدد وجوده وتتحدد وظيفته بالرجوع الى الكل ، ومن هنا فان الجزء منعزلا يختلف عنه ضمن كل ، يختلف عنه ضمن كل آخر وهكذا ... (المترجم)

Beginnings of a Galileian Mode of Thought.

Opposed to these Aristotelian fundamental ideas of dynamics there are now signs in psychology of the beginnings of a Galileian mode of thought. In this respect the concepts of sensory psychology are farthest advanced.

At first, even in sensory psychology, explanations referred to isolated single perceptions, even to single isolated elements of these perceptions. The developments of recent years have brought about, at first slowly but then more radically, a revolution in the fundamental dynamic ideas by showing that the dynamics of the processes are to be deduced, not from the single elements of the perception, but from its whole structure. For it is impossible by a consideration of the elements to define what is meant by *figure* in the broader sense of the word. Rather, the whole dynamics of sensory psychological processes depends upon the ground [1] and beyond it upon the structure of the whole surrounding field. The dynamics of perception is not to be understood by the abstract Aristotelian method of excluding all fortuitous situations, but this principle is penetrating today all the fields of sensory psychology—only by *the establishment of a form of definite structure in a definite sort of environment.*

Recently the same fundamental ideas of dynamics have been extended beyond the special field of perception and applied in the fields of higher mental processes, in the psychology of instinct, will, emotion, and expression, and in genetic psychology. The sterility, for example, of the always circular discussion of heredity or environment and the impossibility of carrying through the division, based upon this discussion, of the characteristics of the individual begin to show that there is something radically wrong with their fundamental assumptions. A mode of thought is becoming evident, even though only gradually, which, corresponding somewhat to the biological concept of phenotype and genotype, tries to determine the

[1] E. Rubin, *Visuell wahrgenommene Figuren*, Gyldendalske, Copenhagen, 1921.

بدايات اسلوب جاليلى للفكر

وفى تعارض مع هذه الافكار الارسطالية الاساسية عن الديناميات توجـــد الآن علامات فى علم النفس على بدايات أسلوب جاليلى للفكر • وفى هذا الصدد فـــان مفاهيم علم النفس الحسى هى الأمعن تقدما •

وفى البداية ، وحتى فى علم النفس الحسى ، كانت التفسيرات ترجع الى ادراكـات منفردة منعزلة ، بل الى عناصر منفردة منعزلة من هذه الادراكات • وتطورات السنـــوات الاخيرة قد تمخضت ، (بشكل بطئ فى البداية ثم بعد ذلك بشكل جذرى) عن ثورة فـــى الافكار الدينامية الاساسية وذلك بأن أبانت عن أن ديناميات العمليات انما يكون البلـوغ اليها ، لا من العناصر المنفردة للادراك ، بل من البنيان الكلى للادراك • ذلك لانه مـن المستحيل بتناول للعناصر ان نبلغ الى تحديد هذا الذى يعنيه " الشكل " بالمعنـى الأرحب للكلمة • ان كل ديناميات العمليات النفسية الحسية تتوقف بالحرى على القاع (١) • وفيمـا وراء ذلك على بنيان المجال المحيط كله • ان ديناميات الادراك لايكون فهمها بالطريقة التجريدية الارسطالية التي تستبعد كل المواقف العارضة ، ولكن (وهذا المبدأ يهيمـن اليوم على كل مجالات علم النفس الحسى) فقط " باقامة الصيغة (الجشطلت) التى يتخذها بنيان محدد فى توجية بيئية محددة •

وحديثا لقيت نفس الافكار الاساسية للديناميات امتدادا فيما وراء المجال الخـاص بالادراك فكان تطبيقها فى مجالات العمليات العقلية الأعلى ، فى سيكولوجية الغريــــزة والارادة والانفعال والتعبير ، وفى علم النفس النشوئى • ورغم المناقشة الدائريـــة (٢) أبدا – مثلا – عن الوراثة أو البيئة ، واستحالة تحقيق الانقسام – المستند الـــى هذه المناقشة – بين الخصائص المميزة للفرد قد عرضا يكشفان وجود شئ خطأ بشكل جذرى فـــى مسلماتهم الاساسية • وثمة اسلوب للفكر يغدو واضحا (حتى وان يكن فقط بشكل تدريجى) وهو الذى (فى تناظر بعض الشئ مع المفهوم البيولوجى عن النمط البادى (الفينوتيب) والنمط الوراثـــى (الجينوتيب) يحـــاول تحديـــــد • • • • • • • • •

---

(١) يقال فى العربية ايضا : الخلفية او الوهاد او الارضية • (المترجم)

(٢) بمعنى حلقة مفرغة • (المترجم)

predisposition, not by excluding so far as possible the influence of the environment, but by accepting in the concept of disposition its necessary reference to a group of concretely defined situations.

Thus in the psychological fields most fundamental to the whole behavior of living things the transition seems inevitable to a Galileian view of dynamics, which derives all its vectors not from single isolated objects, but from the mutual relations of the factors in the concrete whole situation, that is, essentially, from the momentary condition of the individual and the structure of the psychological situation. *The dynamics of the processes is always to be derived from the relation of the concrete individual to the concrete situation*, and, so far as internal forces are concerned, from the mutual relations of the various functional systems that make up the individual.

The carrying out of this principle requires, to be sure, the completion of a task that at present is only begun: namely, the providing of a workable representation of a concrete psychological situation according to its individual characteristics and its associated functional properties, and of the concrete structure of the psychological person and its internal dynamic facts. Perhaps the circumstance that a technique for such a concrete representation, not simply of the physical but of the psychological situation, cannot be accomplished without the help of topology, the youngest branch of mathematics, has contributed to keeping psychological dynamics, in the most important fields of psychology, in the Aristotelian mode of thought. But more important than these technical questions may be the general substantial and philosophical presuppositions: too meager scientific courage in the question of the lawfulness of the psychical, too slight demands upon the validity of psychological laws, and the tendency, which goes hand in hand with this leaning toward mere regularity, to specifically historic-geographic concepts.

The accidents of historical processes are not overcome by excluding the changing situations from systematic consideration, but only by taking the fullest account of the individual

" الاستعداد " ، لا باستبعاد ما أمكن لتأثير البيئة ، بل بأن يتقبل فى مفهوم الاستعداد رجوعه الحتمى الى مجموعة عن المواقف المحددة عيانيا •

وهكذا ففى المجالات النفسية الاكثر اساسية بالنسبة الى كل اسلوك الاشيـاء الحية يبدو التحول الى وجهة النظر الجاليلية للديناميات أمرا يستحيل تجنبه ،وهى وجهة النظر التى تشتق كل متجهاتها لا من اشياء منعزلة منفردة ، ولكن من العلاقات المتبادلة للعوامل فى الموقف العيانى كله ، بمعنى انها تشتقها بصفه اساسية ، من الحالة الوقتية للفرد وبنيان الموقف النفسى • " ان ديناميات العمليات يتحتم دائما اشتقاقها من علاقة الكائن العيانى بالموقف العيانى " ، وبقدر مايختص الامر بالقوى الداخلية ، يتحتم اشتقاقها من العلاقات المتبادلة بين الاجهزة الوظيفية المختلفة التى تقيم الفرد •

والتنفيذ الفعلى لهذا المبدأ يتطلب ، بالتأكيد ، اتمام مهمة ماتزال فى الحاضر عند نقطة البداية ليس غير : وعلى التحديد ، التزويد بامثال فعال عن الموقف النفسى العيانى تبعا لخصائصه الفردية وما يرتبط بذلك من خصائصه الوظيفية ، وعن البنيان العيانى لنفسية الشخص ووقائعها الدينامية الداخلية • وربما كون أن الفنية للبلوغ الى مثل هذا الامتثال العيانى (لابساطة عن الموقف الفيزيائى بل عن الموقف النفسى) مسألة لايمكن تحقيقها دون معونة الطوبولوجيا ، (فرع الرياضيات الأحدث عمرا)، قد أسهم فى الابقاء على الديناميات النفسية (فى أعظم مجالات علم النفس أهمية) ضمن اسلوب الفكر الارسطالى• ولكن أكثر أهمية من تلك المسائل الخاصة بالفنيات يمكن أن تكون هذه " الافتراضات" ـ الضمنية " العامة اللبيئية والفلسفية : شجاعة علمية هزيلة " بأكثر مما ينبغى " فى مسألة قانونية ماهو نفسى ، ومقتضيات ضئيلة " بأكثر مما ينبغى من صدق القوانين النفسية ، والنزعة التى تضفى يدا فى يد مع هذا التحول على مجرد " انتظامية الحدوث " ، ونعنى النزعة الى المفاهيم التاريخية الجغرافية على وجه التخصيص •

ان احداث (١) العمليات التاريخية لايكون التغلب عليها باستبعاد المواقف المتغيرة من التناول المنهجى ، ولكن فقط بأن نضع فى اعتبارنا ــ وعلى نحو أعظم مايكون اكتمالا ــ الطبيعة ....

---

(١) المقصود هو العوارض •

nature of the concrete case. *It depends upon keeping in mind that general validity of the law and concreteness of the individual case are not antitheses, and that reference to the totality of the concrete whole situation must take the place of reference to the largest possible historical collection of frequent repetitions.* This means methodologically that the importance of a case, and its validity as proof, cannot be evaluated by the frequency of its occurrence. Finally, it means for psychology, as it did for physics, a transition from an abstract classificatory procedure to an essentially concrete constructive method.

That psychology at present is not far from the time when the dominance of Aristotelian concepts will be replaced by that of the Galileian mode of thought seems to me indicated also by a more external question of psychological investigation.

It is one of the characteristic signs of the speculative early stage of all sciences that schools, representative of different systems, oppose each other in a way and to an extent that is unknown, for example, in contemporary physics. When a difference of hypotheses occurs in contemporary physics there still remains a common basis that is foreign to the schools of the speculative stage. This is only an external sign of the fact that the concepts of that field have introduced a method that permits step-by-step approximation to understanding. Thereby results a continuous progress of the science which is constantly more narrowly limiting the consequences for the whole structure of differences between various physical theories.

There seems to me much to indicate that even the development of the schools in contemporary psychology is bringing about a transition to a similar sort of constant development, not only in sensory psychology but throughout the entire field.

الفردية للحالة العيانية • " ان هذا التغلب يتوقف على وضعنا نصب أعيننا أن الصـدق العام للقانون وعيانية الحالة الفردية ليسا بالتناقض ، وان الرجوع الى الوحدة الكليـة للموقف العياني كله ينبغي أن يأخذ مكان الرجوع الى أكبر مجموعة تاريخية ممكنة مـن التكرارات المتواترة " • وهذا يعني من الناحية الميثودولوجية أن أهمية حالة ما ، وصدقها من حيث هي برهان ، لايمكن تقييمها بواسطة تواتر حدوثها • وأخيرا ، فهذا يعنـي بالنسبة الى علم النفس ، تماما كما عني بالنسبة الى الفيزيائيات ، تحولا عن طريقـة تصنيفية تجريدية الى طريقة هي بشكل اساسي بنائية عيانية •

أما أن علم النفس في الحاضر غير بعيد من الوقت الذي سوف تخلى فيه هيمنـة المفاهيم الارسطوطالية مكانها لهيمنة اسلوب الفكر الجاليلي ، فذلك ماتشير اليـه أيضا ـ فيما يبدو بالنسبة لي ـ مسألة من التقصي السيكولوجي خارجية الطابع بدرجة أكبر •

انها واحدة من العلامات المميزة للمرحلة الباكرة التأملية في كل العلوم حيـث المدارس (الممثلة لانسقة فكرية مختلفة) تعارض بعضها بعضا على نحو والى حـد ، تجعلهما مثلا ، الفيزيائيات العصرية يظل باقيا هذا الاساس المشترك الذى هو غريب على المدارس في مرحلتها التأملية • وتلك علامة خارجية ليس غير على الحقيقة التي مؤداها أن مفاهيم هذا المجال قد أدخلت طريقة تتيح خطوة مخطوة " التقريب من الفهم • بذلك ينتج تقدم متصل للعلم هو بغير توقف وبشكل تضييقي متزايد يحد من النتائج المترتبة علـى البنيان الكلي للاختلافات بين النظريات الفيزيائية المختلفة •

وبالنسبة لي يبدو كثيرا أن أشير الى أنه حتى تطور المدارس(١) في علم النفس العصري يمضي في اتجاه " التحول " الى مصير مماثل من التطور المستقل ، ليس فقط في علم النفس الحسي ولكن في كل كبيرة وصغيرة في المجال كله •

---

(١) انظر " وحدة علم النفس " ـ لاجاش ـ الترجمة العربية ـ الانجلو ـ د • مخيمر •

النهج الجاليلى فى التناول العلمى للوقائع

الصعوبة الأساسية

ليس هنالك من ملاحظة مطلقة . فكل ملاحظة موضوعية إنما تنبنى عبر الذاتية . فنى علم نفس الأطفال كما فى علم النفس المرضى ، وعلم نفس البدائيين ، وعلم نفس المرأة يكون للموضوع الذى نريد أن ندرسه فى موقف جد مختلف عن موقف القائم بالملاحظة ، ومن هنا يصعب على الأخير أن يمسك بالأول « كما هو » وفى موضوعيته المطلقة إن جاز القول . فعندما نقوم بملاحظة « آخر » فإنه يصعب علينا أن نستبعد هذا الجانب من سلوكه الذى يرجع إلى وجودنا فى الموقف سنجد أنفسنا بصدد علاقة ما بين « الأنا » و « الآخر » . فنحن لا نبلغ إلى « الآخر » ، ولكن إلى « علاقته بنا » . ففى مرض الأفازيا مثلا حيث تضطرب أو تنعدم القدرة على صياغة بنية الجملة أو على النطق بكلماتها أو تذكر معانيها أو فهمها ، كان تمييز هذا المرض فى البداية وتخصيصه يتم عن طريق تحديد « تغيب » جانب من جوانب السلوك ، أى تغيب جزء من مضمون السلوك ، أو قل بعض الصور اللفظية . ولكن الحقيقة هى أن هذا المرض ينطوى على « تغير » فى البنية الباطنية ، فالظاهرة التى تحدث هى أكثر عمقا وأكثر مركزية من مجرد تغيب جانب من المضمون . ثمة سقطة السلوك من مستوى البنية الثرية إلى مستوى أبسط أقرب إلى الأولية والفجاجة ولكن هذه الحقيقة لم يتبينها العلم فى البداية ، لأنه كان يوجه إلى المريض نفس الأسئلة التى توجه عادة إلى الكائن السوى ، ومن هنا فلم يكن من الممكن تحديد المرض إلا عن طريق استبعاد ما هو غير موجود من المضمون ، ما هو متغيب : « هذا ناقص ومن ثم فهذا مخصص للمرض » ، ولم يكن من الممكن بالتالى

فهم المرض . فبالإضافة إلى هذا الطابع الإضافى الميكانيكى لهذا التصور ، فقد كانت السوية هى الإطار المرجعى. تماماً كما نحاول فهم الأعمى بالرجوع إلى المبصر وننتقص منه البصر . ولكن الأعمى ليس بمبصر ينقصه البصر وإنما هو كيان نوعى من حيث هو أعمى ، ووحدة وظيفية تواجه العالم بإمكانياتها الخاصة .

وفى حالة زنوج أمريكا : نجد أنفسنا أمام معطيات تترجم عن « علاقة » الزنجى بالأبيض. فالأمريكى الأبيض لن يمسك بالزنجى إلا فى « علاقته به » ومن ثم فلن يبلغ إلى فهمه . وسواء نظر الأبيض إلى الزنجى ضمن إطار من التحقير أو الترفيع ففى الحالين لايتوفر شعور المساواة ذلك الشعور الذى لابد منه لحصول التطابق والفهم[١]. وبغير ذلك فإن الحكم تعوزه الطبيعية ويتسم بالاصطناع . فعندما لايتوفر شعور المساواة مابين القائم بالملاحظة والشخص موضوع الملاحظة فإن السيكولوجية التى نحصل عليها تتعرض لخطر أن تكون انعكاسا وتعبيرا عن القائم بالملاحظة أكثر مما هى تعبير عن الشخص موضوع الملاحظة .

وفى سيكولوجية المرأة : فغالباً ما نحدد لها طبيعة لاتعدو فى الحقيقة أن تكون بجرد صورة مكملة لما نعتقد أنه « طبيعة » الرجل ، أو قل طبيعة المذكر كما تحددها حضارتنا . يتضح ذلك بالنظر إلى التحقير (المرأة كاذبة ! المرأة خادعة وشيطان !) ؛ أو بالنظر إلى عملية الترفيع (المرأة مرهفة وشاعرية وملاك !) . أما المرأة فغالبا مانجد أنها « لاتستحق لا هذا الإسراف فى التمجيد ولا هذا الإسراف فى التحقير »[٢].

---

(١) انظر كلينبرج فى كتاباته فى علم النفس الاجتماعى ، حيث يلح بالأهمية على الاتصال بين أفراد الطبقات المتماثلة فى الدول المختلفة لتحقيق سلام عالمى ، وحيث يؤكد أهمية قيام الباحث الاجتماعى بأبحاثه فى بيئة كبيئته حتى يتمكن من الفهم .

(٢) انظر كتاب « الحياة الجنسية للمرأة » ، ترجمة المؤلفين ، دار الفكر العربى ، مقدمة الترجمة.

وفى علم نفس الأطفال : يكون الاختلاف مابين القائم بالملاحظة وموضوع الملاحظة أكثر عظماً . وإن الطفل ليستجيب إزاء اتجاهاتنا على نحو من السرعة إلى حد أننا لا ننتبه إلى التغير الذى يحدثه وجودنا «كراشدين» فى استجاباته وردود أفعاله .

نحن نصف عادة ، لا طبيعة الطفل وإنما علاقة هذا الطفل بكائن لم يعد بعد طفلا . وهذه العلاقة تعبر عن الطريقة التى «يتصور» مجتمعنا عليها «الطفولة» ؛ فهناك النظرة التقليدية وهناك النظرة الحديثة .

هنالك الطفل من حيث النظر إليه كشىء غير أساسى — وتلك هى النظرة القديمة والتصور العتيق للتربية التسلطية — هذا الطفل يعتبر صورة ساذجة أولية للراشد . وهناك الطفل من حيث النظر إليه كشىء أساسى ، ومركز للأسرة ؛ يتضح ذلك من حالة الأم التى تنظر إلى طفولتها على أنها كانت فترة شقاء ، ومن ثم تجعل من نفسها «ممرضة» له ، فيتخذ الطفل السلوك المكمل لسلوكها : فيتوهم أنه شىء هام ، ولكنه يتوهم أيضاً أنه أهل للرعاية الفائقة ، ويتوهم أنه معرض لكثرة من المخاطر . إن العبارات الشهيرة من قبيل «ألا تحب أن تأكل كذا» أو «هل تفضل كذا؟» أو «هل تعمل كذا؟» ، تتيح له الحرية ؛ ولكن اضطراره باستمرار إلى أن يتخذ قرارات — الأمر الذى يتخطى حدود قدرته كطفل — يضعه فى حالة من الدوار . تلك هى المدرسة الحديثة . وفى إحدى الحالات التى غير فيها مثل هذا الطفل مدرسته تساءل : «هل سنكون مضطرين إلى أن نفعل ما نريد ؟» . إن موقف الطفل فى هذه الحالة الأخيرة ليس بأسعد من موقفه فى الحالة التسلطية : فإن الطفل لم يكتسب بعد فى علاقته مع الراشد الاستقرار الذى يتيح له الاستقلالية . هذا إلى أنه ينبغى أن نسائل أنفسنا عن الأسباب التى تدفعنا إلى اتخاذ هذا الاتجاه أو ذاك من الطفل ، حتى ولو كان الاتجاه منطوياً على الحفاوة .

فاتجاهاتنا من الطفل لاينبغى أن تكون صادرة عن تجاربنا الصدمية ، بمعنى ألا تكون ضدية فى طابعها . فالطفل لاينبغى أن يعانى صدى الهزات التى عشناها ، فهو ليس مادة عزاء لما عانيناه من شقاء . ولكنه كائن ينبغى أن يعيش لحسابه ويعامل لحسابه . وقد يكون من المفيد أن يتنبه المربون إلى خطر التربية المستندة إلى « الانفعالية المتوجعة » مما يحدث أحيانا ،فيكون الطفل بذلك فى موقف غير سوى . وإذا كنا فى العادة ، وبالنسبة إلى الراشدين ، قلما نصف الموقف ذاته بعدم السوية ، إذ تتوقف دلالته على الشخص ، فإن الأمر يختلف بالنسبة إلى الأطفال ، وهم الذين لم يبلغوا حد النضج ، ومن ثم يعانون خصائص الموقف ويؤثر فى تشكيلهم . ومن هنا ، فالمربى ينبغى أن يكون مربياً بدافع من حبه للحياة ، أى بدافع من تذوقه لها ، لابدافع من الحقد عليها .

ما ينبغى تجنبه فى العلم

١ — ينبغى تجنب الأحكام القبلية الشعورية المضللة

ثمة مشكلة عائلة فى كل سيكولوجية من السيكولوجيات ؛ فهناك دائما خطر التعرض للزيادة من القيمة (الترفيع) أو الحط من قيمة الموضوع (التحقير) : فلأن يعيش الشخص « العلاقة » مع الغير على قدم من المساواة فذلك هو النادر حقا فى تجاربنا الحية . فالغير غالبا مايبدو لنا « أقوى » أو « أضعف » :

ا — يبدو لنا « أقوى » لأننا لانشهد لحظات تردده ، والجوانب الخفية لضعفه . فالكتاب الذى قد نقرأه فى ثلاث ساعات ربما يقضي المؤلف فى تأليفه عشر سنوات . ومن هنا نفترض للمؤلف ثراء فى القريحة لايمكن أن يتاح لغيره .... ومن هنا تكون خيبة أملنا حين نتصل به ونتعرف عليه .

ويصدق ذلك أيضاً على العلاقة بين أفراد الجنسين . فبقدر مايتوهم الواحد الآخر من ميزات وقدرات خارقة يهيء لنفسه وبنفسه خيبة أمله المقبلة .

ب — يبدو لنا « أضعف » ، وذلك لأننا لانمسك قط باللب والنبع عنده ، فهو لايتغير بل يبدو لنا دائما كما عرفناه ؛ إنه رتيب . فالغير يبدو لنا متجمدا ، لأننا لانشهد حريته . ومن هنا نميل إلى أن نتوهم أن الغير قد انتهى ، لقد جمد على ماهو عليه ، أما نحن فلا[١].

إن الشعور الذى لنا عن الأشخاص الآخرين ، وعن كل ما يحدث ، هو بطبيعته خداع . فماركس وفرويد : Marx & Freud يريانا أنه من الأمور الأساسية للشعور أن يخطىء . فبحسب ماركس يعد من الطبيعى أن يجهل شعورنا العلاقات الاجتماعية والاقتصادية (البنية التحتية)[٢] التى تكون تطور العالم . فمن الطبيعى أن نتصور الإنسان على غرار صورة الإنسان من طبقتنا . ومعنى هذا أن شعورنا ينظر إلى السمات التى ترجع فى الواقع إلى التاريخ بحسبانها سمات للطبيعة الإنسانية .

أما بالنسبة إلى فرويد فالدلالة الحقيقية لمسالك الشخص تكون خفية (لا شعورية) . فالأمور ليست أبداً على النحو الذى تبدو عليه فى شعور صاحبها . ولنأخذ الغيرة على سبيل المثال فنحن عادة ما ننظر إلى الرجل على أنه يغار من منافسه بدافع من حبه لزوجته . أما بالنسبة إلى فرويد فى بعض الحالات فهنالك أحيانا تعلق بالمنافس وحب له ، هذا فى الأعماق ، بينما يبدو الأمر فى مسرح الشعور وكأنه غيرة من المنافس لا عليه . ومثل آخر هو

---

(١) ارجع إلى وظائف الأحكام القبلية من حيث أنها بطاقة عضوية فى الجماعة ، ووسيلة لتحقيق الوحدة الداخلية فى وجه الجماعة الخارجية . أنظر أيضا اسقاط المساوىء على الغير، على الجماعات الأخرى ، فجماعتى تعيد إلى « صورتى التى أرجعها لنفسى » بينما الجماعة الخارجية تقدم لى « صورتى التى أكرهها من نفسى » . (أنظر جيوم فى كتابه علم نفس الجشطلت، ترجمة المؤلفين سجل العرب) .

(٢) انظر « فى الاشتراكية العربية » للمؤلفين ، الدار القومية .

مشاعر الحزن فى حالات الوفاة . فالمسالك التقليدية تخفى فى العادة وراءها عدوانية متفجرة ضد الفقيد ، إلى آخر هذه الظواهر التى تدخل ضمن ميكانيزمات الدفاع أو الحيل اللاشعورية .

ولكن لماذا يسلم ماركس وفرويد بأن الدلالة الحقيقية لمسالكنا تغيب عنا ؟ إن البورجوازى فى نظر ماركس ، إنما يرى الأشياء من خلال بلورة نفسيته "الطبقية البورجوازية ، لأنه ينتمى إلى هذه الطبقة التاريخية . ولكن لماذا تبدو الجنسية المثلية على أنها جنسية غيرية فى مثال الغيرة الذى أوردناه عن فرويد ؟ ولماذا يتحتم على البحث العلمى أن يقلب الظاهرى ؟ ذلك لأننا لا نعرف أنفسنا بطريقة مباشرة ، بالنظر المباشر إلى أنفسنا ، وإنما الكثير مما نحن عليه نراه فى الآخرين عن طريق الإسقاط ، أى نراهُ مسقطا على الآخرين .

كيما نعرف أنفسنا حقا فلا بد لنا من شىء من التراجع ، التراجع لمسافة بعينها إلى « نقطة الرؤية » التى تسمح لنا بأن نمسك بالمشهد بكل جنباته . ولكن هذا الأمر لا نستطيع أن نضطلع به بإزاء أنفسنا . ولا يرجع هذا بالضرورة إلى لاشعور يحيك الألاعيب . فظاهرة التلاعب أو المخاتلة ترجع أيضاً إلى أن الشعور هو دائما شعور « بصيغة » تبرز بالقياس إلى « القاع » . ولكن الشعور هنا فى هذه الحالة شعور فريد ، شعور بالصيغة ، فى إغفال للقاع الذى ليس للصيغة من دلالة حقيقية إلا بالرجوع إليه (١) . هذا القاع نحن نعرفه على أية حال بحسبانه شيئا عشناه . نحن بالنسبة إلى أنفسنا « قيمانتا » الخاصة ؛ كل شخص بالنسبة إلى نفسه هو قاعه الخاص فهو يرضى عن نفسه فى ضوء قيم نفسه . ولكن كيما تتقدم « المعرفة » ، وكيما تكون هنالك معرفة علمية عن أنفسنا وعن الآخر ، فلابد وأن يتحول ما كان هو « القاع »

---

(١) راجع جيوم ، المرجع السابق .

ليصبح هو الصيغة ، فلابد وأن نتبين هـــذا القاع مدخلينه إلى مستوى الشعور عن طريق « التراجع » . عندئذ أستطيع أن أدرك نفسى ضمن قاعى الحقيقى، وأستطيع أن أسد على الإسقاط طريقه، فلا أرى الآخر من خلال قاعى اللاشعورى، بل أرى هذا الآخر ضمن انتشاره البيئى الخاص . وعليه ينبغى أن نتوقف عن النظر إلى ماينتج عنا بحسبانه قدراً محتوماً . وإن مورينو Moreno ليضع نصب عينيه نفس هذا المنظور فى نظرته إلى السيكودراما. فالأفراد يختتمون الشعور بصراعاتهم عندما يلعبون فوق المسرح أدوارهم الحيوية، وكأنهم بذلك يتراجعون إلى ماوراء أنفسهم . وكثيرا ما لايوجد الرفقاء الحقيقيون . وإنما يضطلع المساعدون بأدوارهم . فاتجاهات الفرد تكون من البروز بحيث تفرض على هذه الذوات المساعدة أن تتخذ بصورة آلية الاتجاهات « المحتومة » التى تمليها اتجاهات الشخص . فعندما يجد الأفراد أنفسهم فى صراع فإنهم لايملكون دلالة مسالكهم ، ومن ثم لايكاد يجتمع الزوج والزوجة حتى تظهر بالضرورة بعض الاتجاهات اللاشعورية . إن الفرد لم يعد يدرك دوافع مايفعله ، ولكنه يرى على الآخر ويقرأ فيه السلوك الذى يتحتم عليه هو أن يلعبه . وفى طريقة مورينو هذه نجد أن الفرد إذ « يلعب » فى موقف غير حقيقى إنما تعينه التفسيرات العلاجية على أن يدرك اتجاهه[1].

إن مايريده مورينو هو أن يتجنب أمراً ألا وهو أن تبدو لنا مسالكنا بحسبانها محتومة ، بينما هى فى الواقع تصدر عنا ونستطيع تغييرها . وينبغى أن نتوقف عن أن نرى أنفسنا كانعكاس للآخر أو عن النظر إلى أنفسنا كإطار مرجعى ينبغى أن نرى أنفسنا كما يرانا الغير .

---

(١) قارن ذلك بحالة الحالم فى التجوال النائم حيث يترجم الشخص وهو « يلعب » هذا الحلم عن كثرة من العناصر المنسية اللاشعورية .

وعليه ففيما يتصل بالعلاقة مابين الأنا والآخر : يتحتم أن ننظر إلى الآخر لا من زاويتنا الخاصة وإنما من زاوية مختلفة عن زاويتنا . ينبغى أن نضطلع بشىء من التراجع بالقياس إلى دورنا العادى ، « ينبغى أن نوقظ تلقائيتنا الخاصة » (مورينو).

٢ — ينبغى تجنب القول بطبيعة ثابتة مغلقة على نفسها

لاينبغى تجميد الطفولة فى صورة نمط قالب ، فى صورة « عقلية طفلية مغلقة على نفسها » وكأنها بمثابة عالم قائم برأسه ، ومقطوع عن عالم الكبار . فإذا كان من المفيد أن نعترف بعقلية طفلية لها أصالتها ، على نحو ماجرى منذ نصف قرن ، فإنه لاينبغى مع ذلك تجميد هذه العقلية فى صورة « بنية عقلية » مغلقة ، تستحيل إلى شىء كثيف غير قابل للنفاذ ، يستغلق علينا كراشدين .

ولكن هل من الأفضل أن ينسحب الراشد من عملية التربية ؟ الإجابة بالنفى . فالتربية التى تترك الطفل إلى نفسه لاتفضل التربية التسلطية . فالطفل لا يستطيع أن يكتسب فنيات الحياة حين يترك إلى نفسه ، لا ولا حين يخضع لمربين متسلطين . ففى الأنظمة المدرسية ، حيث يترك الأطفال لشأنهم تهيمن بعض مظاهر التخلف مما يخلق الكثير من المضايقات .

ومن هنا يحق لنا أن نتساءل ما إن كان وجود الراشد ، بل وقيام بعض الصراعات معه لا ينطوى على قيمة تشكيلية للطفل . تكشف الملاحظة فى التعليم الثانوى أن الطريقة السقراطية لم تتمخض عن نتيجة تذكر ، ونعنى بها الطريقة التى ينطلق فيها التلاميذ من أفكارهم حتى يجدوا بأنفسهم كل شىء . فالتقدم جد بطىء ، ذلك أن التلاميذ إنما يتعلمون بتقليدهم لطرائق المدرس فى التفكير والكلام . ومعنى هذا أنهم لايدخلون إلى التراث الثقافى

عن طريق الذكاء فحسب وانما أيضا بوسائل شبه مسرحية ، بتقليدهم للراشد وتطابقهم معه .

وهكذ فإننا إذا ماأردنا أن نفهم الطفل فينبغي أن ننظر إليه ضمن الكل الاجتماعي البيئي وضمن الكل الاجتماعي التاريخي الذي يوجد فيه .

وهل نفسية البدائي مختلفة اختلافا جوهريا عن نفسيتنا . لقد رجع ليفي بريل Levy Brühl عن هذا التصور . إذ كيف كان للبدائي أن يتعلم فنياتنا وأن يتعلم منا لوكانت نفسيته منتظمة وفق مبادىء أخرى مختلفة ، ولهامسالك وظيفية مباينة ؟ أفلا نكون نحن أيضا في بعض الأحيان « قبل منطقيين » ؟

ففي إحدى المستعمرات قدم رجل أبيض شيئا لأحد الصبية من السكان الأصليين . فبدلا من أن يشعر الصبي بالامتنان فقد شعر بأن على هذاالرجل أن يقدم إليه أشياء أخرى . في هذا المثل ، الذي يرى فيه بعض الباحثين دليلا على اختلاف العقلية : ليس الأمر في الواقع كذلك ، فهناك هوة اجتماعية مابين ظروف الأبيض وبؤس الصبي خلقت علاقة من التبعية ، مما قد نجده أحيانا في المجتمع المتحضر ما بين المدرس والتلميذ الصغير حين يقدم إليه المدرس مايدل على عناية خاصة به .

وعندما يصل الرجل الأبيض إلى مستعمرة للبدائيين فإنه لاينتبه في بداية الأمر إلا إلى ماهو جذاب . ولكن عندما يعيش في المستعمرة يتلاشى ماهو جميل ، فلايرى إلا مشكلات بشرية ، جد قريبة من مشكلات أهل الريف في المجتمعات المتحضرة .

وهل الشعور المريض مغلق على نفسه ؟ يرى البعض أن ليس هنالك من اختلاف في الطبيعة والنوع مابين الصحة والمرض : فهو اختلاف في الشدة والدرجة . كل ماهنالك أن قوانين السلوك هي أكثر بروزاً في حالة ، وأكثر تغليظا في الحالة الأخرى . ولكن نفرا آخر من أمثال شارل بلوندل تذهب

إلى الطرف الآخر : فالشعور المريض فى رأيهم يتميز بالكثافة وعـــدم الشفافية . والمؤكد هو أن المسالك المرضية وإن كانت مختلفة عن مسالكنا إلا أنها متاحة لفهمنا . فنحن لانستطيع أن نطابق ما بين المسالك السوية والمسالك المرضية . فهذه وتلك أنماط متباينة من الاستجابة لنفس مشكلات الحياة ؛ فوساوس الحصار مثلا توجد فى صورة جنينية عند الأسوياء ، والانحرافات الجنسية الشاذة توجد لدينا جميعاً ولكن بدرجات طفيفة وضمن الانتظام الكلى للجنسية الراشدة .

ومن هنا يقول مالينوفسكى : « إننى سأعيش فى التجربة مع المريض ، وألاحظ صدى سلوكه فى نفسى ، وسأتبين اللحظة التى أشعر به فيها ، وهو ينزلق إلى عالمه المرضى ، أستمع إليه ، وأكتب ما يقوله ، وما يستشعره . وسأحصل من ذلك على صورة لعلاقته هو (المريض) بى (السوى) . » فليس بوسعنا إلا أن نرسم العلاقة ما بين الشخص المريض والشخص السوى .

وهل الأنوثة طبيعة مغلقة على ذاتها ؟ إن الصورة التى نرسمها للمرأة تنطوى على تصور مقابل للرجل . فى بعض المجتمعات تكون المرأة أقوى من الرجل . فالمرأة « القارورة » هى نتاج ثقافى ، وليست بطبيعة ثابتة . فإذا لم يكن هنالك محل لإنكار الاختلاف السيكولوجى ما بين الرجل والمرأة ، مما يستند إلى الاختلاف البيولوجى ، فإن الطريقة الوحيدة لنتبين هذا الاختلاف ونقصى مداه إنما تكون بالتخلص من تصورنا الخاص لطبيعة أنثوية وطبيعة رجلية .

هذا إلى ثبت من الظواهر تتجسد فى تصورات سيكولوجية رئيسية تدحض كلها القول بعقلية مغلقة على نفسها ، أو بطبيعة ثابتة :

ظاهرة تكثر الأشكال فى الطفولة Ploymorphism

ينبغى أن نتصور الطفل لا « كآخر » بالمعنى المطلق، لا ولا « مثلنا » تماماً، بل كإمكانية مفتوحة و «كتعدد الأشكال» . يقول فرويد إن الطفل منحرف « متعدد الأشكال » polymophouspervert ، فهو ينفتح لجميع أشكال الانحراف ويعيشها فى طفولته .

ولكن ليفى شتراوس L. Strauss يقترح تعميم هذا التصور بحيث يسلم بأن الطفل متعدد الأشكال من الناحية الثقافية : فليست هنالك عقلية طفلية بذاتها تشكل طبيعة مغلقة وقائمة برأسها، وإنما هناك « تعدد أشكال طفلى» . فالطفل بالنظر إلى أنه لم يتكامل بعد ضمن ثقافة بعينها، يظل إمكانية مفتوحة يقدم من المسالك مايذكرنا ببعض المسالك «المرضية »أو«البدائية». إن الطفل لم ينخرط بعد فى عملية الصياغة الثقافية : فلم يتطبع بالثقافة التى ستصبح ثقافته : فحياته تتحدد تدريجيا فى علاقته بأشخاص وأنظمة اجتماعية. فزجاجة الرضاعة وأسلوب الإرضاع مثــــلا هما بالفعل علاقة بشخص وثقافة .

ظاهرة النضج المبكر Prematuration

ومن الممكن أن تعمل الظروف على أن يعيش الطفـل صراعات وأحداثا «تستبق » إن جاز القول إمكانياته الفيزيائية أو العقلية . ففى سن الخامسة يعيش الأطفال مواقف ورغبات شبيهة بالحياة الغرامية للكبار ، مع أن إمكانياتهم الفسيولوجية لاتهيؤهم بعد لذلك . ومن هنا تتضح ماهنالك من علاقة بين مفهوم النضج السابق لأوانه ومفهوم تكثر الأشكال فى الطفولة .

ظاهرة التطابق المزدوج :

إن العلاقة ما بين الطفل والراشد علاقة فريدة من التطابق . فالطفل يرى نفسه فى الآخرين ، كما أن الآخرين يرون أنفسهم فيه . فالطفل يرى فى والديه مصيره : إنه سيصبح مثلهما . فهو يعانى من هذا التوتر الخاص مابين نفسه التى لم تقتدر بعد على أن تعيش وفقاً للأنموذج Model ، وذاته التى تتطلع متمسكة بالأنموذج . ويتحدث التحليل النفسى عن : التطابق مع الوالد من نفس الجنس ، أو التطابق المتقاطع مع الوالد من الجنس الآخر ، أو التطابق غير المباشر وهو أن يتطابق الطفل مع ما يريده له الوالدان .

وفى مجال المرأة أبان ستاندال Stendhal أن قسمات الطبيعة الأنثوية إنما هى نتاج التاريخ ، وطرائق التربية التى تعانيها المرأة . وهو ينقد المدعين الذين يزعمون أن النساء أرهف نفسية وأن الرجال أصلب عوداً . وكيما نفهم المرأة بصورة مليئة ، فينبغى أن نضع موضع الاعتبار كل ماتهيئه الطبيعة من حولها لتصوغها . فلو اختلفت هذه الظروف ، فمن الممكن أن نتبين قيام قدرات جد مختلفة فى المرأة . ويلاحظ ستاندال أن مشاغل المرأة بآلياتها الدقيقة تقيدها ولكنها تتيح لها حرية الشرود والأحلام . وهكذا فإن خيال المرأة يعد نتيجة لنوع الحياة التى تحياها . وإذا كانت النساء أقل ذكاء فما ذلك إلا لأن الثقافة البشرية لم تتطلب منهن ذكاء . لقد قيل « إن كل المواهب التى تولد مؤنثة تضيع على الإنسانية » . وليس من شك فى أهمية البنية البدنية والوظيفة الإنجابية . ولكن ذلك يقصر عن أن يكون دعامة كافية للقول « بطبيعة أنثوية » . فالتربية لها أثرها المحزن : ففى سن العاشرة تكون البنت أكثر حيوية من الصبى . أما فى العشرين فإنها تستحيل بفعل الثقافة إلى هذه البلهاء المرتجفة التى تخاف من الفأر أو من العنكبوت .

وينبغى أن نطبق على الطفل كل ما قاله ستاندال فيما يتصل بالمرأة .

فلابد من تناول الطفل ضمن الوحدة الكلية الاجتماعية والتاريخية التي يعيش فيها ويستجيب لها: أننا لا ينبغي أن نتحدث عن طبيعة طفلية، وإنما — كما رأينا — عن «تعدد أشكال طفلي». فعند الطفل تتعايش معا إمكانيات جد مختلفة تجعله يبدو شبيها ببعض العصابيين، أو ببعض البدائيين، أو ببعض الراشدين. وهذا «التعدد الأشكالي» تصحبه عمليات النضج الباكرة. فالطفل يعيش بالفعل منذ البداية ودفعة واحدة «حياة ثقافية». فهو يدخل في وقت جد مبكر في علاقات مع الآخرين -وهو يكشف عن اهتمام بالظواهر الثرية غير البسيطة التي تحيط به. فهو مثلا بالنسبة إلى تعبير الوجه عند الآخرين يصل إلى علم حق باستكناه ألغازه، وذلك في وقت نتوهم فيه أن حياة الطفل لا تعدو أن تكون مجرد حياة حسية.

وهنالك ما رأينا من ظاهرة التطابق المزدوج، تطابق الأبناء مع الآباء، والآباء مع الأبناء: وينتج عن هاتين المرآتين المتواجهتين سلسلة من النتائج. فمن الممكن أن تربي المرأة أبناءها بطريقة لينة لأنها هي قد عانت تربية قاسية، ولكن الأطفال الذين يلقون هذه التربية المتحررة قد يستشعرون الحاجة إلى الحزم، مما قد يتضح في آرائهم السياسية. فهنالك حركة ديالكتيكية تمضي من أجداد محافظين مثلا، إلى آباء متحررين ثم إلى أطفال عندما يبلغون سن الرشد يغيرون تماما من أفكارهم ويؤمنون بالتربية التسلطية.

فليس الأطفال دائماً صورة للآباء فهم في بعض الحالات صورة نقيضية أو قل صورة مرآتية لهم. ولكن ذلك يرجع في الحقيقة إلى أن التربية لم تكن متحررة بمعنى الكلمة أو على الأصح لم تكن حرة بل كانت قهرية في تحررها، كانت قهرية في طابعها، بمعنى أنها تأخذ بالحرية بطريقة «ضدية»؛ أنها تحرص على اصطناع الحرية. وغالباً ما يستشعر الطفل والديه آخذين في تصفية حسابهم الخاص مع طفولتهم. ذلك أن مبادئهم التحررية تنطوي على ما هو جاهز ومعد: فالطفل يعاني من اضطراره إلى أن يمارس الحرية

دوما ، تماماً كما يعانى البعض الآخر ممن لا يمارس الحرية أبداً . وعليه فإننا فى كل لحظة فى صلاتنا مع الطفل ننسج اتجاهه . وكنتيجة لذلك يمكن القول بأنه فى علم نفس الأطفال — حتى قبل أن يكون هنالك علم للنفس — فإن الوقائع معرضة دائماً للتأويل ، وذلك لأنها تعبير عن العلاقة المعقدة ما بين الطفل والراشد . هذا إلى أن الواقعة أيضاً إنما هى دائماً تصور يترجم عما عليه الطفل ، ويترجم فى نفس الوقت عن الكيفية التى ينظر بها الراشد إليه ، وعن الطريقة التى يعامله بها .

علينا أن نقيم دينامية بين — شخصية بدلا من أن نحاول تحديد «سمات» الطبيعة جامدة : فينبغى أن نتجنب الحديث مثلا عن «طبيعة الطفل» . ينبغى أن نتجنب كل تصور جامد ، كأن يكون مجرد تصور إحصائى لمراحل الطفولة ، كأن نتحدث مثلاً عن طبيعة الطفل فى السادسة ، تماما كما ينبغى أن نتجنب كل تصور جامد عن سيكولوجية الجنس . وبإزاء الاختبارات لا ينبغى أن ننظر إلى النتائج التى نحصل عليها فى وقت وكأنها تصدق بصورة مطلقة ؛ فهذه النتائج تعبر عن حالة مؤقتة من حالات الدينامية الشخصية والبين — شخصية .

فعلم نفس الأطفال ليس مجال دراسة « طبيعة » ثابتة . ومن هنا يرى فرويد أنه على الرغم من المحددات التشريحية القائمة منذ البداية ، إلا أن هذه المحددات ليست ذات قيمة حاسمة . فالصورة التى تكون عليها الحياة الجنسية فى وقت من الأوقات تتحدد تبعاً للمكانة المختلفة التى يحتلها الطفل فى الانتشار العائلى . أما الجنسية الراشدة فقوامها « التخطى » لجميع المراحل السابقة . وحين نقول « صبى » أو « بنت » عند المولد فذلك لا يكاد يعنى شيئاً بعد . فحين نقول « بنت » أو « صبى » ، فإننا نعنى كائناً أو فرداً فى حقل من القوى ، وهذا الحقل يمثل فى كل وقت بالنسبة إلى الطفل لونا خاصاً من

ألوان الذكورة أو الأنوثة . والطفل فى هذا الحقل يخضع لمتجهات مختلفة تجذبه فى اتجاهات متباينة[1]. إن الواقع إنما هو دينامية دائبة التغير ، فهو متاح أبداً للتبديل، الأمر الذى يفسر إمكانية الثورات والتغيرات المفاجئة .

٣ — ينبغى تجنب الذراتية بتقطيعاتها العمدية :

فهذه الدينامية تدحض النزعة الذراتية الضيقة ، هذه التى تسعى إلى التقطيع فتصطنع عزل ما هو خارجى عما هو داخلى ، وما هو حسى عما هو حركى، وعزل ما هو فسيولوجى عما هو نفسى ، وما هو فطرى عما هو مكتسب ، وعزل النضج عن التعلم ، وعزل الموقف عن الاستجابة .

ولكن الحقيقة هى أن الموقف الذى يعيشه الكائن يتوقف ليس فحسب على الشروط التى يوجد فيها الكائن، وإنما يتوقف أيضاً على بنية الكائن الخاصة: فهنالك ما يمكن تسميته « بالتكيف القبلى » . يصدق هذا حتى فى المستوى البيولوجى . فالكائن العضوى يقيم فى وسط يلائمه . ومن الممكن أن تكون الخصائص الباطنية للكائن العضوى هى التى تجعله يستقر فى هذه الظروف بدلا من تلك . ويقرر لاجاش: « إنه لا يوجد كائن بغير موقف، ولا يوجد موقف إلا بالنسبة إلى كائن » . بل إن وجود الكائن فى موقف بعينه إنما يترجم إلى حد بعيد عن البنية المميزة لشخصيته . فالمواقف تشبه الأشخاص .

كذلك الحال فيما يتصل بنظرية الجهاز العصبى . فليس من الممكن أن نعزل ، كما كان يفعل علم النفس الكلاسيكى ، الوظائف الإدراكية عن الوظائف الحركية . فعلم النفس المعاصر لم يعد يعزل الجهاز الحسى والجهاز

---

(١) انظر كتاب مارى بونابارت ، الحياة الجنسية للمرأة ، ترجمة المؤلفين ،مفهوم الموقف الثلاثى ومفهوم الجنسية الثنائية (دار الفكر العربى) .

الحركى ، وإنما يتحدث عن « الجانب الحسى » و « الجانب الحركى » من السلوك . فالتطور الحركى يعد بمثابة امتداد للجانب الحسى الانفعالى المعرفى . إن السلوك يفترض « توقعاً » لنتيجته . فنى حالة الكلب مثلا يتغير « إدراك الأشياء » عندما يكون الكلب مقيداً . وباختصار فإن ما هو إدراكى وما هو حركى ليسا بظاهرتين منفصلتين . وقد ولى الوقت الذى كان البعض يتحدث فيه عن إدراك فوجدان فنزوع . فنى الكلام فإن الوظيفة الحركية ، وهى « التكلم » والوظيفة الإدراكية وهى « السمع » ليستا منفصلتين ، لا ولا الوجدان المصاحب لهما . إن التصور الذراتى تصور مستحيل .

كذلك التمييز بين ما هو فطرى وما هو مكتسب :

« فطرى » بالمعنى الدقيق تشير إلى ما يتبدى وما يظهر منذ الولادة . ولكن بعض علماء النفس وسعوا من معنى هـــذا المصطلح فسحبوه على ما يرجع إلى الشروط الخاصة بالشخص فى مقابل الشروط الخاصة بالبيئة . وهكذا أصبح مصطلح « فطرى » مرادفاً لمصطلح « داخلى المصدر » . ولكن ينبغى أن نتحرر من مثل هذا المفهوم ، كما ينبغى أن نتحرر من مفهوم « القدرة » ، حين يشير هذا المصطلح إلى طبيعة منقوشة منذ الولادة ، بحيث يقتصر التطور اللاحق على مجرد إظهارها . إن هـذه الطبيعة لا يمكن أن تنمو وتتطور إلا تحت تأثير شروط بيئية معينة وعليه فما معنى هذه « الطبيعة » ، هذه « القدرة » التى لا تستطيع بمفردها أن تعبر عن نفسها ، ما دامت لا تقتدر بمفردها على إن تتحقق وتظهر ، وإنما تستطيع ذلك فقط بتأثير الشروط البيئية ؟ أن الأمر ليس بثنائى : موقف — استجابة وليس باستجابة تتوقف فحسب على الشروط الداخلية . وعليه فمفهوم « القدرة » نسبى ، أى يرتبط بمواقف معينة .

كذلك التمييز بين ما هو فسيولوجي وما هو نفسي :

إنه ليستحيل عزل الشروط النفسية عن الشروط الفسيولوجية فى السلوك . فوإن كانت الفسيولوجيا الميكانيكية النزعة تتحدث عن المخ كما لو كان آلة ، فإنه ينبغى الآن أن نميز فى المخ مستويات مختلفة ، أو قل اختلافات من حيث المستوى ومن حيث الدلالة ، وانتظام البنية ؛ ومثل هذه المفاهيم إنما هى مستعارة من تجربتنا كذوات نفسية . وهكذا فإن الفارق أو الاختلافات ما بين اللغة الراقية للشخص السوى واللغة الدنيا للمصاب بالأفازيا ، إنما ينحصر فى اختلاف فى المستوى يتضمن مفاهيم تتعلق بالقيمة ، ومدى ثراء البنية .

كذلك التمييز ما بين النضج والتعلم :

ينحصر النضج فى جملة الشروط العصبية التى يتوقف عليها نمو الكائن العضوى . وليس ثمة معنى لأن نجعل من هذا التصور تصوراً مقابلا للتعلم ؛ ذلك لأن النمو العضوى يتوقف على تجارب خارجية معينة ، فليس هنالك من نضج دون شيء من التعلم .

ثمة مثلا اعتراضات ترفض فكرة قيام حياة جنسية عند الطفل ، وذلك لعدم توفر النضج الجنسى عنده . ولكن هذا الرأى تعسفى ، ضد ـ سيكولوجى ؛ وذلك لأنه إذا كان هنالك علم نفس فما ذلك إلا لأن الوقائع تكشف عن أن علاقة الطفل ببيئته ليست فقط ما يمكن أن تكونه ابتداء من نضجه العضوى . فالطفل « يستبق » وهو فى علاقة مع « ثقافة » . إنه يعقد مقدما مع البيئة علاقات من قبيل الاستباق . فالطفلة تلعب بالعروسة دور الأم قبل أن تصبح أما بوقت طويل . لقد ولد علم النفس حقا يوم أن تبين البحاث أن علاقة الطفل ببيئته لا تقتصر فحسب على ما تسمح به حالة أو قل درجة نضجه الفسيولوجى .

وعليه فإننا نرى كيف يتعثر علم النفس بهذه الأشكال من الثنائية : ما هو نفسي وما هو فسيولوجي ، ماهو تعلم ، وما هو نضج ، الخ .

* * *

وخلاصة كل ما سبق ، أن النفسانى الذى يحاول أن يعمل بطريقة محكمة سيكون له تصور عن الحياة يؤثر على الآخر ، ولكن النفسانى سيكون متنبها إلى ذلك . فعلم النفس لا يمكن أن يكون بحال مجرد تسجيل للوقائع . إن كل معرفة موضوعية إنما هى بناء يتم عبر ذاتية الباحث . يشير ليفين فى كتابه « التصور الدينامى للشخصية » إلى الفكر العلمى فى علوم الطبيعة ، فيقرر أن هنالك طريقتين للتقليد : طريقة التقليد الفقير ، السطحى، الجدب التى هى نقل بالضبط ، نقل حرفى ، يصل إلى علم نفس « علمى » ينطوى على قوانين وعلاقات شبيهة بالقوانين والعلاقات الرقمية التى فى الفيزياء ، وهنالك طريقة التقليد الخصب ، التقليد العميق . ولكن ما ينبغى حقا هو أن نتبين العلة الحقيقية التى جعلت المعرفة الفيزيائية تتطور وتزدهر :

كان ذلك بحسب رأى ليفين فى اللحظة التى توقف فيها البحاث عن مجرد تسجيل الوقائع. فكشف جاليليو لايمكن فهمه بالنظر إلى الوقائع المباشرة . فالعلاقة ما بين ريشة تطير ، وحجر يسقط ، وبلية تتدحرج على سطح منحدر ، لا تصبح متاحة للفهم إلا عندما « نبنى » فكرة السقوط . وهذا البناء يفترض تحليل الوقائع .

وعليه فلا علم إلا منذ اللحظة التى يتم فيها بناء « نماذج مثالية » ، أو أنماط مثالية ، أو علاقات مثالية تسمح بفهم الظواهر الأخرى المماثلة .

إن علم نفس الأطفال مثلا ليس مجرد تسجيل لكل ما يقوله الطفل ويفعله : فكل ذلك ليس غير نتاج « لدينامية نمو » ترجع إلى الإنتشار العائلى وإلى البيئة الاجتماعية . وليست الواقعة التاريخية بشىء فى ذاتها .

فقيمتها تقتصر فحسب على دلالتها . فالواقعة الكيفية qualitative هى الواقعة الأصيلة original المبنية بناء جديداً .

إن ما ندركه وما نلاحظه لايعدو أن يكون «الآخر» فى علاقته بنا نحن الملاحظين الراشدين. وهذه الفكرة ، فكرة نسبية الموضوع بالقياس إلى القائم بالملاحظة ، رغم بساطتها بل وما قد تبدو عليه من سذاجة للوهلة الأولى ، لم يستغلها العلم فى كل نتائجها الممكنة. فعالم النفس يؤمن بضرورة التغلب على هذه النسبية ، كما كان الاعتقاد فى الفيزياء بأنه من الممكن أن نستبعد تماماً ذاتية القائم بالملاحظة . أما اليوم فإن الفيزياء الحديثة تؤمن بأنه من المستحيل أن نصل إلى نتائج تجريبية تكون بمثابة نتائج لملاحظة موضوعية مطلقة . كذلك الحال بالنسبة إلى علم النفس فإنه ينبغى أن يقوم ، ينبغى أن ينبنى ، عبر النسبية . فهنالك إذن إساءة استخدام لمفهوم « الموضوعية » . والفكر الذى يقال عنه فى العادة موضوعى pseudo-objective إنما يفتقر إلى ما يقيم الحقيقة ، إلى ما هو لب الحقيقة ، حياة « الآخر » .

ولعل هذا كله هو ما يعبر عنه مورينو حين يقرر أن الموضوعية كيما تكون خصبة يتحتم عليها أن تعانى نوبة من الذاتية . ولعل هذا أيضا هو عين ما يقصد إليه جان بول سارتر حين يقرر أن الذاتية ليست غير لحظة بين موضوعيتين : موضوعية قائمة تتخطاها بالذاتية إلى موضوعية جديدة أكثر امتلاء وأمعن خصوبة[١] . .

---

(١) انظر « نحو نظرية ثورية فى التربية » ، د. نخبر ، الانجلو .

ما ينبغي اتبـــاعه فى العلم

الاستقراء السطحى والاستقراء المركزى

يتوهم البعض فى العادة أن هنالك علما عندما يصل علم النفس إلى بعض النتائج المتواترة أى التى تمثل أو تتبع نظاما ، نفس النظام بصورة مستمرة . فبالنسبة إلى هذا البعض يعد « التواتر » فى السلوك ، معيار البحث العلمى ، ويعد هذا بمثابة الحكم القبلى ، وهو حكم يترتب عليه أن ينظر هذا البعض إلى كل واقعة فردية بحسبانها أمراً يدخل فى مجال الأدب بالمعنى الردىء للكلمة . وحتى يومنا هذا هنالك كثير من علماء النفس ممن ينظرون إلى « وصف الحالة الفردية » أو « المونوجرافيا » على أنه عمل تمهيدى يؤدى إلى العلم ، ولكنه لا يبلغ بذاته بعد حد العمل العلمى : ولكن هذه المشكلة قد استوقفت من جديد التأمل فى الأيام الأخيرة . فالمونوجرافيا عندما يضطلع بها الشخص على نحو من العمق تكون ذات قيمة معادلة بل وأكثر من القيمة التى يمكن أن تكون للدراسة السطحية لحالات عديدة . ومن هنا يقرر جولدشتين بأنه « لأمعن فى العلم » أن يدرس الباحث حالة واحدة بعمق من أن يقارن بصورة سطحية وقائع عديدة لا يستطيع أن يرجعها إلى سياقاتها . ففى حالة من حالات الأجنوزيا البصرية ، وهى فقدان القدرة على التعرف على الأشياء رغم سلامة الحس ، فإن الأمر يحتم دراسة الشخص ليس فحسب من زاوية الإدراك وإنما أيضاً من زوايا عديدة كاللغة الخ . . ينبغى أن نضع موضع الاعتبار مختلف قطاعات الشخصية .

فبهذه الطريقة أمكن للبحث أن يتبين بأن المصاب بالأجنوزيا لا يقتدر أثناء المحادثة على أن يبتدع جديداً ، وأن سلوكه الجنسى يفتقر إلى المبادءة والقدرة على التصرف فى حرية . إنه لا يقتدر على إسباغ بنية جديدة ، أى

على أن يتناول عنصراً من العناصر من زوايا مختلفة ، أى على أن ينوع فى وجهات نظره .

والحق هو أن هنالك طريقتان فى النظر إلى الاستقراء العلمى . فمن ناحية نستطيع أن نصل إلى قضية عامة ابتداء من الوقائع عن طريق التجريد . وهذا هو النهج الأرسططالى . ومن ناحية أخرى نستطيع أن نبحث ضمن حالة ، أى داخل الحالة ، عن تقاطع الوقائع وهذا هو النهج الجاليلى . وعلم النفس ينبغى أن يستوحى هذه الطريقة الأخيرة .

إن مفهوم العمومية ذو معنيين : فإما أن نفحص عدداً كبيراً من الحالات المتفرقة تكون فيها العمومية من العظم بقدر ما تكون الحالات من الفقر ، وإما أن نصل إلى العمومية بلوغنا إلى مركز الظاهرة العيانية : وفى هذه الحالة الأخيرة نكون إزاء عمومية أساسية . ولكن فى أغلب الحالات يستخدم علماء النفس عمومية إحصائية . فهم يذهبون مثلا إلى أن الثالثة هى سن المعارضة والخلف عند الطفل وهم يجمعون جميع الملاحظات المتعلقة بهذا التوكيد ، بمعنى أنهم يجمعون معا كل ملاحظة تشهد بذلك . ولكنهم إذ يفعلون ذلك فإنهم لا يفسرون شيئاً . فكل ما يفعلونه ينحصر فى أنهم يطلقون اسماً من الأسماء على بعض الوقائع دون ما تفسير لهذه الوقائع . ولكن علم النفس يتحتم عليه أن يطلعنا على العلة فى أن هذه الظواهر أو تلك تحدث . وكذلك الحال بالنسبة إلى بعض التصورات من قبيل « الغريزة » و « القدرة » ، فهى تنطوى على نفس العيب ، هى مجرد لافتات لفظية . فالقدرة هى ببساطة سلوك لاحظناه ، سلوك متحقق من قبل ، أى قائم من قبل داخل الطفل . وكذلك الحال بالنسبة إلى « الغريزة » . فهى كما بين ليفين ، إنما هى « انتقاء عن طريق التجريد » لسمات مشتركة بين فئة من المسالك أو الأفعال التى تتبدى بصورة متواترة .

وعلم النفس اليوم — بحسب رأى ليفين — كثيراً ما ينخفض إلى مجرد

كونه علم نفس من النمط الأرسططالى ، بمعنى أنه يقتصر ويقنع بالبحث عن « العام » ، هذا الذى ليس له من صلة فى واقع الأمر بالحقيقة العلمية . والطريقة الإحصائية إنما تتعرض بصفة خاصة لهذا الخطر : فهذه الأبحاث تبحث عن المتوسط الحسابى ، وتضفى عليه قيمة تمثيلية ، فتعده ممثلا للكل. مثال ذلك اعتبار الشخص الذى طوله ١٦٠ سم وأسمر البشرة بمثابة المتوسط للمصريين. وعلم النفس يستخدم مثل هذا المتوسط ليتخذ منه صورة مخصصة، مثلا ، للعمر العقلى لطفل السنة الثانية ، ليتمكن من التنبؤ .

ولكن « الأدوات » الرياضية ليست بكافية لتسبغ على البحث الطابع العلمى الحق . علم النفس هذا يجاهد ما وسعه الجهد ليثبت أنه علم ، مستخدماً أقصى ما يستطيع من الرياضيات . ولكننا حين نستخدم هذه الإمكانيات الرياضية مستندين إلى تصورات أرسططالية ، فإننا نظل فى مجال ما قبل العلم .

إن البحث عن القوانين لا يكفى لتخصيص العلم ، وذلك إذا ما فهمنا القوانين على أنها عمومية مجردة . ويذهب ليفين إلى أن الإحصاء يمكن أن يكون مفيداً شريطة ألا نستخدمه بطريقة عمياء .

والنادرة المشهورة عن « بينيه » فى قوله « الذكاء هو ما يقيسه مقياسى » ، هذه النادرة تشير فى معناها المباشر إلى أن الموقف العلمى يقتضى ألا نتساءل عما هو الذكاء ، وإنما أن نقيس ونقارن سلوك طفل فى سن معينة مع مسالك أطفال من نفس السن . ولكن بهذا المعنى يستحيل على علم النفس أن يذهب بعيداً . فلأن نتساءل ما هو الذكاء ، فإن مثل هذا السؤال لا يمكن أن لا يحفل به العلم مهما أمعن فى التجريبية .

فكثيراً ما كانت العوامل التى يقيسها المقياس عوامل محيطية ، مستقلة إلى حد ما ، بمعنى أنها لا تتوقف على الشخصية كوحدة كلية . فعندما نقوم

بتطبيق الاختبار نفسه بعد سنوات عدة فإنه لا يعطينا نفس النتائج . فليس في وسع الاختبار أن يتيح لنا التنبؤ . ومن هنا يتحتم على الاختبار أن يتجه إلى الشخص بكليته أى من حيث هو وحدة كلية . وذلك حتى يستطيع قياس الحالة العامة لسلوكه ، فلا يقتصر على قبلي نتائج هذا السلوك هنا والآن في موقف الاختبار .

ينبغى الإمساك بالشخص أى بالوحدة الكلية لصيرورته وأن نقيم أى نبنى من جديد التطور الدينامى له، لا أن نحصى عدداً من الأداءات التى ينجح الطفل أو يفشل فيها فى لحظة من لحظات حياته . كذلك الحال بالنسبة إلى المرضى بالأفازيا عند جولدشتين : فإن الاستخدام الآلى للغة ما يزال فى متناولهم ، ولكن لم يعد فى متناولهم « الاستخدام الذكى » لها . وعليه فإن الأمر لا ينحصر فى «نقص لفظى» ، وإنما فى سقطة تهبط باللغة إلى مستوى أدنى . ففى علم النفس المرضى ، فى البداية ، كان الاهتمام يتجه إلى الأعراض تتحدد عن طريق الاستجابات التى لم يعد الكائن يستجيب بها على مقتضيات البيئة وأسئلتها . ولكن لم يكن فى ذلك ما يتيح لنا معرفة الماهية ، ماهية المرض . فلابد من أن « نبنى من جديد » جملة الأعراض المرضية بأن نوجه إلى الكائن أسئلة أكثر دقة ونوعية من الأسئلة المألوفة التى تقتصر على اكتشاف « ما هو ناقص » فليست هناك من حقيقة إلا فى اللحظة التى نبلغ فيها إلى مركز الشخصية .

وثمة مظهر آخر من مظاهر هذا الحكم القبلى المتعلق بما هو عام ، ونعنى به استبعاد الحالات المرضية من حيث هى شاذة . وهذه الطريقة فى التفكير هى قبل — علمية ، تفصل ما بين المرضى والأسوياء . وعادة ما يقال : « ذلك استثناء بالنسبة إلى القاعدة » ، و « فى الاستثناء ما يؤكد القاعدة » . ولكن مثل هذا القول متناقض ، لأن الاستثناء يدحض القاعدة . والحق هو أن هذا « الشعار » يتجسد فى حكمنا القبلى الذاهب إلى أنه « ليس هناك

من علم إلا بما هو عام » . فإذا ما استهدفنا « العمومية » فإننا نصل إلى ذلك بتكديس النتائج كيفما اتفق .

وخطأ هذه الطريقة ينحصر بحسب رأى ليفين فى أنها تقف عند ما هو سطحى فى الأشياء ، وتقف عند الوقائع التى تلاحظها مباشرة أى المتاحة للملاحظة المباشرة ، تقف عند « التاريخى — الجغرافى » . فعلى الرغم من عظم اتساع مجال البحث ، فمن الممكن أن تكون النتائج عديمة الدلالة وذلك إذا كانت هنا لك كومة من الحالات المختلفة . فمن المستحيل أن نقيم متوسطاً حسابياً ذا دلالة ، ما لم يكن هنالك مبدأ يتيح لنا أن نحسب العناصر المختلفة لهذا المتوسط .

ينبغى إذن أن نتناول دينامية العملية التى تعنينا . وهنا يأخذ ليفين جانب المنهج الوصفى ضد المنهج التحليلى الذراتى، وضد المنهج الوصفى السطحى الذى لا يتيح لنا أن نبلغ إلى أعماق الظاهرة ، سواء كان هذا الوصف لفظيا أو رقمياً . فليفين ينقد الطريقة الوصفية التى تقف عند الخصائص الظاهرة للظواهر ، فلا تبلغ إلى البنية الباطنية ، والتى تقف عند النتائج فلا تصل إلى المقدمات . فالخصائص الظاهرة هى جملة خصائص الكائن العضوى التى تبدى للملاحظة ، وهى خصائص تشرطها فى نفس الوقت البنية الباطنية وأثر البيئة وتاريخ الكائن .

وينبغى أن تحل الطريقة الجاليلية محل هـــذه الطريقة ذات النهج الأرسطالى . فالأمر لا ينحصر فى تقليد خارجى ، فلا بد وأن يتم فيما يتعلق بعلم النفس ما تم بالنسبة إلى الفيزياء . وليس معنى هذا أن نفعل حرفياً نفس الشىء ، وإنما أن نحقق منهجا أى طريقة فى البحث تماثل طريقة الفيزياء من حيث الخصوبة . وعلى سبيل المثال فإن الأمر لا ينحصر فى أن نخفض السلوك مثلا إلى جانبه الفيزيائى ، وإنما ينحصر الأمر

بالحرى فى استخلاص طريقة فى التفكير . فإن ما هو أساسى حقا ، ينحصر فى « إعادة صياغة » المعطيات صياغة جديدة متاحة للفهم عند علماء النفس .

النهج الجاليلى : خصائص علم النفس العلمى بمعنى الكلمة

بحسب رأى جييوم ، يستهدف علم النفس إقامة تتابعات خبراتية ثابتة بمعنى مستمرة دائبة . وهذا التصور ينطوى على أن القانون إنما هو ماهية تشارك فيه الحالات الفردية بدرجة أو أخرى . ويرى ليفين أن علم النفس فى مثل هذه الحالة ينخفض إلى كونه تفسيراً بلغة « الماهية الأرسطاطالية » ، وأنه لا ينطوى على شىء مما ينطوى عليه العلم .

فبحسب رأى ليفين ينحصر معيار علم النفس العلمى حقاً فى تخليه عن المفارقة ما بين « عمومية الماهية المعقولة » وخصوصية الواقعة . ينبغى أن نفكر بلغة « السياقات » (تشكيلات النوع الواحد) لا « الفئات » . والشروط الثلاثة التى ينبغى — فى رأى ليفين — أن تتوفر لعلم النفس هى :

(١) تصور حقل الوقائع النفسية بحسبانه متجانسا . دون أن نخفض الوقائع الأكثر ثراء إلى وقائع بسيطة .

(٢) استخدام تصورات « شرطية » تشوئية ، ونعنى تصورات القيمة والدلالة والموقف .

(٣) ينبغى على علم النفس العلمى أن يذهب إلى ما هو عيانى بطريقة غير مباشرة ، أى عن طريق بناء تصورات تتيح فهم الوقائع الفردية (نمط العلاقة المثالية أو النمط الكيفى) . فإن ما يجعل علم النفس فى رأى ليفين علما بمعنى الكلمة ، إنما ينحصر فى هذه الشروط الثلاثة وليس فى انضباط المقياس ودقته .

أولا : تجنيس حقل البحث :

إن العالم الفيزيائي متجانس عند جاليليو : فإن ما يحدث فى الكواكب وما يحدث عند سطح البحر ، عندما يسقط حجر ، كل هذا بدلا من أن يكون ظواهر غير مرتبطة فى المكان . فإنها بالنسبة إلى جاليليو مجردمظاهر تنتمى إلى نفس السياق . فبدلا من أن نفكر بطريقة الفئات ينبغى أن نفكر بطريقة السياقات وتباينات النمط الواحد . ينبغى تطبيق هـــذه الطريقة الأخيرة فى علم النفس : فى علم النفس لا ينبغى تضحية الاختلافات الكيفية ، ولا ينبغى أن نكتفى بتضحية النزعة الذراتية الترابطية .

لا ينبغى أن نضحى بتباين الوقائع ، باختلافاتها ، وإنما ينبغى أن نفهمها : فالوقائع السوية والمرضية ، عند الرجل وعند المرأة ، عند الراشد وعند الطفل الخ ، هذه الوقائع ينبغى أن ننظر إليها — لا على أنها متطابقة — ولكن على أنها وقائع تنتمى إلى نفس السياق فى تشكيلة من نوع واحد .

(١) فالسلوك المرضى والسلوك السوى إنما هما استجابات لمواقف هى هى بعينها من الناحية الموضوعية . فليس للسلوك السوى والسلوك المرضى « نفس الهوية » ، ولكن هنالك تماثلا بين المواقف : ففهم العلاقة مع الغير يستند فى صميمه إلى « المماثلة » : فلا بد للفرد كائنا ما كان ، من أن يعيش . تلك هى « وحدة المشكلة » التى تجيب عليها المسالك بتبايناتها .

(٢) وكذلك الحال فيما يتصل بالعلاقة ما بين المتحضر والبدائى . فثمة شىء يجمعنا معهم ولا شك ، وإلا لاستحال علينا أن نفهمهم . يجمعنا معهم قاع مشترك ، تجمعنا أعماق مشتركة، فلا بد إذن وأن نضطلع بشىء من التراجع بالنسبة إلى أنفسنا ، حتى نفهم الأشياء التى نعيش فيها ، وحتى نفهم أنفسنا وبالتالى نفهم الآخرين . وهناك دراسة الحياة الأمريكية الحالية تمت وكأنها دراسة لمجتمع بدائى . فمن زاوية المنظور العلمى لا ينبغى أن ننظر نظرة امتياز

إلى شعب من الشعوب، أو إلى حضارة من الحضارات بالقياس إلى الأخرى. ينبغى أن ننظر إلى العلاقات ما بين الحضارات على أنها علاقات متكافئة .

(٣) والعلاقات ما بين الذكورة والأنوثة : ينبغى أن ننظر إليها كما تبرز منسلخة أو متناحية بالنسبة إلى نفس القاع . « فالمشكلة » هى هى بعينها ونعنى مشكلة الحياة الإنسانية .

ومعنى هذا أنه ينبغى التجنيس . فالوقائع تشكيلة من نوع واحد لا فئات منعزلة . فالاستجابات متباينة للمشكلة الواحدة . وينبغى أن تنتبه إلى أن هنالك عالما نفسياً ينتمى إليه المرضى والأسوياء ، الرجال والنساء ، المتحضرون والبدائيون ، الراشدون والأطفال الخ . .

فالقوانين النفسية لن تكون « تتابعات » من الوقائع التى تتتابع معاً ودائماً أبداً . إن علم النفس العلمى بمعنى الكلمة سيوجد عندما نكون مقتدرين على أن نفهم الأنواع المختلفة للحياة ، حياة الراشد والطفل ، المتحضر والبدائى ، السوى والمريض . . الخ . . ، على أنها أجهزة متوازية تجيب على نفس المشكلة بطرائق مختلفة أو قل على أنها أساليب حياة متوازية .

ثانيا : التصورات الشرطية : القيمة والدلالة والموقف :

إن جانبا بأسره من الفيزياء يضع موضع الاعتبار « المتجهات » . وبوسع علم النفس أن يستمين هو الآخر بذلك . فإن ما هو علمى لا ينحصر فى استبعاد الكيف ، بمعنى القيمة أو الدلالة ، وإنما ينحصر فى النظر إلى الوقائع ضمن سياق . فكل سلوك فى علم النفس إنما هو استجابة « متجهة نحو » موقف . وعليه نستطيع أن نأخذ بالذاتية لا من حيث هى غائية تنصب على « طبيعة » ، بمعنى أنها تكون منقوشة مرة وإلى الأبد فى الفرد ، وإنما من حيث هى غائية خاضعة لشروط ومشلة بموقف تعد بمثابة إجابة عليه .

يهاجم ليفين علم النفس الذى لا يمكن أن يتصور نفسه علمياً إلا اذا أعرض عن استخدام مفهوم « الغاية » والغائية والنشاط « المتجه إلى » . فهذه التصورات ذات طابع علمى اذا ما وضعنا فى اعتبارنا المتجهات على أنها خاضعة وتابعة ، أى تتوقف على العلاقات المتبادلة بين وقائع عديدة . فجميع العناصر فى حالة علاقة بينية فى الحقل . ومن هنا تأتى فى رأى ليفين أهمية الموقف . وهذه الأهمية لا يمكن أن تتبدى مادام العلم ينظر إلى الموضوعية نظرة زائفة ، بمعنى أن الخصائص الرقمية وحدها هى التى يمكن أن تكون مميزة للموضوعية .

ان الموقف لا يشتمل على جميع عناصر العالم الخارجى ، و « إنما يشتمل فحسب على جملة السمات ، سمات العالم الخارجى ، التى تستطيع أن تستثير استجابة من جانب الكائن العضوى » . فالموقف هو النتيجة المشتركة للتجارب الداخلية ، تجارب الكائن العضوى ، وللمعطيات الخارجية . إن الموقف لهو همزة وصل ما بين الوجه الموضوعى الخالص والجهد الذى يبذله الكائن العضوى بمعنى الوجه الذاتى من الانتظام . وعليه فالموقف أساسى لفهم الفرد الذى يعنينا ، وذلك لأن الموقف هو نقطة التقاء الخارجى والداخلى . وأنه لشىء من هذا النوع ، ذلك الذى نجده كأصل وأساس لكشف جاليليو : فجاليليو يتصور دينامية الظاهرة على أنها مرتبطة بالموقف ، وهو إذ يضع فى اعتباره « الموقف » فإنه يستطيع « مماثلة » الظواهر موضوع الدرس .

فالقانون ينتج من تطبيق هذا المفهوم ، مفهوم « الموقف » : إنه هو هذا الذى « بين » جميع الحالات المعنية ، الرابطة التى تكون هذه الحالات هى تبايناتها . وعليه فإن المتجهات التى تحدد دينامية الظاهرة ، إنما تتحدد بالواقعة العيانية ، بالشىء وبالموقف . ومن هنا تجىء إمكانية « عمومية غير مجردة » وهى عمومية يحتاج إليها علم النفس .

ثالثا : بناء تصورات تتيح فهم الوقائع الفردية :

مما سبق يتضح أن الإحصاء يتحتم عليه فى علم النفس أن يتخطى المتوسط الحسابى إلى «الحالة» النقية (ليفين)، ونعنى هذه الحالة التى فيها تكون الوقائع المختلفة التى نلاحظها هى حقاً الوقائع المترابطة ترابطاً باطنياً ، المترابطة بطريقة أساسية . ينبغى أن «نفكر الوقائع» ، وأن نبنيها بناء جديداً من الناحية العقلية . فليس العلم هو مجرد الملاحظة فحسب .

إن قانون سقوط الأجسام عند جاليليو ماكان يمكن الحصول عليه من مجرد «تقرير الواقعة» . فالقانون يتحدد بالاستناد إلى عملية مثالية . فالقانون يقوم على عملية قوامها أن تنزل علاقة معينة «منزلة المثل الأعلى» Idealisation (هوسرل) فنعتبرها «علاقة مثالية» ، أو أنموذجاً أو نمطاً كيفياً لسائر الوقائع المماثلة . ومن الأمور التى تبدو وكأنها متناقضة ، أن العلم كيما يفهم ما هو عيانى ، يتحتم عليه بمعنى من المعانى أن يبدأ بأن يدير ظهره له . فلابد وأن جاليليو قد أعاد بناء معطيات الحواس بإجراء فكرى . أما إذا ما قمنا على الضد من ذلك بتسجيل مباشر للوقائع بمعنى أن نسجل الخصائص المشتركة للأجسام الثقيلة (أرسطو) فإننا نحصل على تجريدات . إن العلم يبدأ فى اللحظة — لا اللحظة التى نسجل فيها بطريقة سلبية — بل اللحظة التى نعيد فيها بناء «ماهو ظاهر» فنتيح لأنفسنا نماذج للواقع ، نماذج مثالية . عندها فلن تكون دلالة «الاستثناء» هى هذه الفضيحة التى كان يعنيها الاستثناء عند أرسطو ، فقد كان أرسطو ينظر إلى ما هو فردى على أنه «لا يخضع للعقل» .

إن المسالك إنما هى تباينات تتخذها دينامية النمو . وهكذا يصبح من الممكن فى التحليل النفسى أن نضع فى نفس الوقت موضع الاعتبار المسالك القهرية حيث يناضل الشخص ضد حريته ، والمسالك الجنسية المنحرفة ،

حيث يسلم الشخص نفسه لحريته ، وذلك لأننا نضع هذه المسالك وتلك ضمن سياق من تطور الليبيدو ، فبهذا تغطى هـــذه المسالك وتلك حقيقة سيكولوجية واحدة . وعليه فلا ينبغى أن نذهب إلى ما هو عام وإنما إلى ما هو مركزى .

منظورات جديدة يقتضيها علم النفس العلمى

الغريزة :

مادمنا ننظر إلى الغريزة على أنها قوة « منجهة إلى » هدف معين ، على أنها « طبيعة » فإننا نظل فى نطاق علم نفس أرسطاطالى .

أما علم نفس الجشطلت فيغير من مفهوم الغريزة : فليست هنالك غائية صريحة صماء تصر حرفياً على هدفها ، وإنما هنالك شىء ما « يتجه إلى » شىء ما ، وإن كان مختلفاً عن الغائية الصماء الصارمة . ذلك لأن الفعل يمكن أن ينحرف أثناء الطريق أو يمكن أن يقف . وعليه فالغريزة مختلفة عن « طبيعة أمام مصيرها » ، طبيعة لها هدفها المحدد ، ولكنها أشبه ما تكون بمواقف « مفتوحة » تستدعى شكلا معيناً من التطور دون أن يكون هذا الشكل مع ذلك محدداً تحديداً كاملا . وعليه فالغريزة لم يعد ينظر إليها كشىء مستقل منعزل ، وإنما يمكن « مماثلتها » « بالعادة » ، و «بالفعل اللاإرادى» . والغريزة على هذا النحو تتمشى مع مبدأ « التجنيس » ، ويمكن بذلك أن تدخل فى الدينامية العامة للسلوك . فهنالك وحدة كلية من المسالك التى ليست الغريزة إلا لحظة من لحظاتها .

إن مفهوم الموقف المفتوح ـ شأنه شأن الميلوديا أو المسرحية ـ يستدعى التحدد . فغائية الغريزة لم تعد بعد ممارسة لقوة ممتنعة على التغير ، قوة فطرية ، تفعل ما تريد ، وإنما ينبغى النظر إليها بالرجوع إلى الشخصية فى جملتها .

الذكورة والأنوثة :

سنعرض الآن من قبيل التدليل بعض الأمثلة الواردة فى كتاب مارجريت ميد « المذكر والمؤنث « Male and Female » فيما يتصل بالمحددات الاجتماعية للذكورة والأنوثة .

إذا كان هنالك شيء يبدو متوقفاً على الشروط البدنية ، فذلك إنما هو خصائص الذكورة والأنوثة . ولكن التحليل النفسى قد أوضح لنا مع ذلك أن هذه الخصائص لا يمكن أن تفهم خارج العلاقات البين — شخصية . ولم تبدأ مارجريت ميد من تصورات التحليل النفسى . بل اضطلعت بأبحاث اتنوجرافية[1] تأدت منها إلى إدخال تعديلات على التحليل النفسى . فهى تضطلع بتعميم للتحليل النفسى .

فالتحليل النفسى الكلاسيكى ، كما عند فرويد ، قد ظل تقليدياً فى نظرته إلى هذه المسألة . ففرويد فى البداية يقرر أن ماهية كل ما هو جنسى ، إنما هى ماهية ذكرية . فالليبيدو ذو ماهية ذكرية . والجنسية الأنثوية ليست غير « تنويع » ، أى صورة أخرى للجنسية الذكرية ، وفى ذلك ما يفسر وجود عقدة إخصاء عند البنت . وعندما يقرر فرويد ذلك فإننا نجد أنفسنا أمام تصور تقليدى قوامه الماهية الذكرية ، يعكس التصور الأوائلى عن

(١) الاتنوجرافيا هى الفرع الذى يصف كل ما يتعلق بالأنشطة البشرية فى نوعياتها المختلفة عند الشعوب المختلفة فى إغفال عادة لدراسة شعوب الحضارات الصناعية الحالية . أما الاتنولوجيا فهى العلم الذى يستخلص حقائقه من هذه التى توفرها دراسات الانثروبولوجيا والاتنوجرافيا ودراسة اللغة والفولكلور . ويصعب فصلها كعلم عن علم الاجتماع من ناحية والاتنوجرافيا من ناحية أخرى . أما الانثروبولوجيا بالمعنى الواسع فهى دراسة الإنسان فى الأساليب المختلفة التى تتخذها حياته فى المجتمعات المختلفة وخاصة من الزاوية الاتنوجرافية والنفس — اجتماعية . أما المعنى الضيق أو الفرنسى فيشير إلى دراسة البنية الجسمية الإنسان من ناحية قياس الأبعاد أو الوظائف . ومن هنا فعادة ما تسمى الانثروبولوجيا بمعناها الواسع بالأنثروبولوجيا الثقافية .

الأسرة ، تحت هيمنة الرجل » . ولكن هذه القنطرة التى وضعها فرويد ما بين الجنسية الذكرية والجنسية الأنثوية إنما تفتح الطريق فى نفس الوقت لتصور الجنسية الثنائية . ويرينا فرويد أنه على الرغم من التمايز فى الجنس فإن الأحداث السيكولوجية يمكن أن تحرف الشخص حتى تبلغ به إلى الإنعكاس الجنسى sexual inversion . فهو بذلك أول من أرجع الانعكاس الجنسى إلى أسباب سيكولوجية . فالانتماء إلى جنس ليس بحسب مجرد مسألة فسيولوجية ، تشريحية ، وإنما هى أساساً سيكولوجية .

وعليه فهنالك تضارب عند فرويد فيما يبدو مابين التصورات الأوائلية التى ورثها والتصورات التى ابتدعها ، تضارب مابين تفسير طبيعى النزعة وتفسير سيكولوجى النزعة ، عن الجنسية .

العقدة الأوديبية :

وبحسب رأى فرويد فإن الموقف الأوديبى هو المدار المركزى ، بل المدار الوحيد فى كل ما يتصل بالحضارة الإنسانية . أما فى رأى ميد فإن الموقف الأوديبى الذى يصفه فرويد ليس غير حل معين لمشكلة تبدو عامة عند الجميع (صورة بعينها من صور التكثر التى تتخذها وحدة المشكلات) .

فإن ماهو هام هو مشكلة بعينها قائمة فى جميع المجتمعات نظراً لوجود الآباء والأبناء . فالواقعة العامة تنحصر فى أن هنالك أطفالا وأنهم يكونون فى البداية ضعافاً وصغاراً ، مع اشتراكهم وارتباطهم ارتباطاً وثيقاً بحياة الراشدين . وهناك تفتح باكر سابق لأوانه المشاعر الجنسية عند الطفل ، هذا الذى ما يزال غير مقتدر على الإنجاب (ممارسة الجنسية الراشدة) . فالطفل يجد نفسه متجهاً باهتماماته إلى المسائل الجنسية ، مع قصوره — بالنسبة للراشد — من حيث النضج الجنسى .

وهنالك كما رأينا تطابق مزدوج ما بين الأبناء والآباء : فالطفل يرى مستقبله في والديه في نفس الوقت الذي يرى الوالدان في الطفل طفولتهما الخاصة . وهنالك أيضاً هذه الطبيعة الجدلية التي تجعل الأحفاد ألصق شبهاً بالأجداد منهم بالآباء . ولكن التعقد لا يقف عند هذا الحد. فقدم الطفل ينال بالتغيير نوعية العلاقات ما بين الراشدين . فقدمه ليس مجرد إضافة أو إلحاق بدون تغير في العلاقات الدينامية بين الوالدين .

ويمكن صياغة نفس هذه الواقعة العامة بطريقة أخرى . توجد عند الطفل حياة جنسية سابقة على أوان القدرة على ممارسة الجنسية الراشدة . وإننا لنجد دائماً فكرة « النضج السابق » بمعنى ظهور الظاهرة في فترة سابقة على النضج اللازم لاكتمالها .

أما عن « وحدة المشكلة » ، فهذه الفكرة نجدها عند فرويد ، ولكنه لم يستخلص كل ما تنطوي عليه . فقد تبين العلاقة ما بين الأطفال والآباء في حالة معينة خاصة هي البنية الأوديبية للأسرة . ولكن لم يتخط هذه الحالة المعينة الخاصة وهي حالة « الانتشار الأوديبي » إلى الاحتمالات الأخرى الممكنة .

وتكشف لنا مارجريت ميد عن هذه العلاقات . وهي ترينا أن هذه العلاقات لا تقتصر في وجودها على الشكل الأوديبي . ومع ذلك فإن الموقف الأوديبي يظل يحتفظ بمكانة ممتازة . فنحن لا نستطيع أن نضع على قدم المساواة — جميع البنيات التشكيلية الأسرية . ولكن القول بعدم عمومية الموقف الأوديبي ، وبأنه ليس الانتشار الوحيد الممكن ، لا يعني أنه عديم القيمة أو قليلها . فقد أبانت مدام جيكس Guex في مؤلفها « عصاب الهجران » عند الأطفال ، عن أن الأشخاص « المهجورين » هم في الواقع أشخاص قبل — أوديبيين ، لم يتح لهم بعد أن يعيشوا الموقف الأوديبي . فعقدة أوديب هي « شرط ضروري لتشكيل شخصية الطفل

وليست مصيبة تنزل به . ليس الموقف الأوديبي بسوء ينزل بالطفل ، وإنما هو شرط يحكم صياغة الشخصية في بعض الحضارات البشرية » .

فكيما يتخطى الكائن حالة الطفولة ، هذه التي تتميز بالإشباع الفوري للرغبة (مبدأ اللذة) ، فلابد من أن يجتاز الكائن العقدة الأوديبية حيث يتعلم في شتى علاقاته الوجدانية ألا يكون فحسب مجرد طفل ، مجرد كائن يقتصر على ما هو فوري ، على ما هو مطلق ، على النزوة ، وإنما يتعلم الإعراض عن شيء ما ، وأن يقنع بغيره (مبدأ الواقع) . والأشخاص « قبل - الأوديبيين » يظلون في الطفولة طول حياتهم ، وذلك لأنهم لا يقتدرون على أن يعيشوا علاقة وجدانية لا تتصف بالآنية أو اللحظية .

إن الهدف من الدراسة التي قامت بها مارجريت ميد ليس هو الإطاحة بالنظرية الفرويدية ؛ فتعميم التحليل النفسي شيء يختلف تماماً عن إبطال كل ثقة به . فالتحليل النفسي وقد لقي التعميم قد غدا يقدم الأنموذج الكيفي ، والعلاقة العامة المثالية ما بين الأبناء والآباء . وهذا الأنموذج أو هذه العلاقة ، ليست البنية الأوديبية للأسرة غير حالة معينة خاصة من حالاتها ، وتجسيداً بعينة من بين تشكيلة تجسيداتها الممكنة .

خاتمة :

إن العلاقة ما بين الذكورة والأنوثة ، إنما هي عنصر من العناصر ضمن نسيج كلي يشتمل فيما يشتمل على علاقة الطفل بالأم ، وعلى علاقة المجتمع بالطبيعة ، وعلى العلاقة مع الأجنبي ، وبصورة عامة العلاقات البين - بشرية على نحو ما توجد عليه في أي مجتمع نحن بصدده .

فليس هنالك محل إذن لأن نتحدث بلغة المطلق عن المذكر والمؤنث ،

لأن كل حضارة تصوغ نمطاً معيناً من الذكورة، مترابطاً مع نمط معين من الأنوثة، وذلك تبعاً لطريقة هذا المجتمع فى الحياة. ولكننا حين نأخذ مجتمعاً بعينه نجد نمطاً محدداً وبعينه تتخذه الجنسية.

فالعلاقة ما بين الذكورة والأنوثة، هذه العلاقة المتحققة فى مجتمع ما تتبلور فى العلاقة ما بين الأم والطفل على نحو ما هى متحققة فى العادات وطرق العناية. وهدف ميـــد هو أن ترينا أن العلاقة ما بين الرجل والمرأة فى مجتمع ما، والعلاقة ما بين الأم والطفل، هذه العلاقة وتلك، سبب ونتيجة فى نفس الوقت أحداهما بالنسبة للأخرى. فالأطفال حين يصبحون راشدين يميلون الى إعادة نفس البنية، بنية العلاقة ما بين الذكورة والأنوثة، على نحو ما كانت بين الأب والأم. إن العلاقـــة ما بين الذكورة والأنوثة ترتبط بشكيلة بأسره من علاقات الأم بالطفل بل ومن علاقات الإنسان بالطبيعة.

ففى مجتمع الألوبا تنعدم تماماً مظاهر عناية الوالدين. يترك الأطفال إلى أنفسهم. وهذه العلاقة ما بين الآباء والأطفال تتمخض عن مقابل لها فى علاقات الراشدين فيما بينهم، فليس بين الراشدين غير علاقات سلبية فى أغلبها، فلا تربطهم صداقة قوية ولا تجمعا بينهم علاقات حميمة. إنهم يستقبلون لما يحدث دون ما محاولة منهم لتنظيم حياتهم. وتتميز حياتهم الاقتصادية بالتبديد، فهم يجهلون الاختزان والبناء.

ليست هنالك صياغة للأنا العليا، فلا قيم ولا شعور بالإثم، ومن ثم فليست هنالك مازوشية. فمن النـــادر جداً العثور على حالة انتحار فى هذا المجتمع.

وهذا المجتمع وإن تجنب بعض المساوىء الأوديبية، فإنه تنقصه بعض المميزات الأوديبية، وعلى الأخص القدرة على العمل والإنتاج.

وهكذا فإن الانفصال ما بين الآباء والأطفال إنما هو فى موازاة مع الانفصال ما بين الراشدين ، ومع الانفصال ما بينهم وبين الطبيعة .

ومرجريت ميد تتمنى مجتمعاً يكون « عديد الأشكال الجنسية » multisexed يسمح بجميع أنماط الذكورة والأنوثة ، فيختار كل واحد شريكه من بين الأنماط المذكرة أو المؤنثة التى توافق نمطه . مثل هذا المجتمع يسمح فى رأيها للأفراد أن يحققوا أنفسهم على ما هم عليه .

ولكن ترى ما السبب الذى يحدو بمرجريت ميد إلى محاولة التخلص من جبروت الأنموذج المطلق ، وجمود النمط ، وتصلب المعيار ؟ يعلق ميرلوبونتى على هذه الأمنية بأنها تصدر عن مؤالفة أمريكية ، حيث تعيش معاً حشود من الأقوام المختلفة الأصل . أما فى البلاد الأخرى التى لها ماض فإنها من النادر أن تفكر فى ماضيها ، فهى ليست قلقة فيما يتصل بأصلها . أما الأقوام المقتلعة من أصولها فتتطلع إلى الأصول . ومن هنا تبدو أهمية مشكلة الوحدة بالنسبة إلى أمريكا . ذلك أنها لا تستند إلى تاريخ مشترك طويل ، ومن هنا تتلمس أمريكا هذه الوحدة فى مشاركة لا تتسامح ، مشاركة فى بعض الأنماط الجامدة . وهذا فى رأيه هو السبب الذى يجعل ميد جد مهتمة بهذا الجبروت المطلق لذلك الأنموذج الذى يهيمن على أمريكا ، جد مهتمة بالمعيار الإحصائى ، الذى تحاول أن تلتمس له علاجاً فى « جنسية متعددة الأشكال » تتيح للأفراد أن يبلغوا إلى الإشباع دون صراعات مع قيمهم الاجتماعية ، مما قد يتمخض عن اختفاء الأمراض العصابية والذهانية من حياة البشر .

خلاصـــــة

طرائق تناول الوقائع

ما ينبغى تجنبه فى العـــــلم

أولا — الأحكام الشعورية البدائية :

أننا لا نمسك بالآخر كشىء من الأشياء المنعزلة ، وإنما فى صلته بنا أى عبر ملاحظة مشاركة ، ومن هنا النسبية .

(ا) ومن هنا خطر الحكم بالرجوع إلى الأحكام القبلية الاجتماعية واتجاهاتنا الخاصة ، مما يترتب عليه أن نتوهم الآخر : إما نسخة منا له نفس الهوية ؛ وإما من طبيعة مغايرة مغلقة على نفسها ، ونسيج وحـــدها ، لا تتطابق معها ، فننالها بالترفيع أو التحقير . وباختصار نتعرض لوهم التطابق التام أو الاختلاف التام . وفى الحالين لا تنطوى العملية على نظرة تكافؤ بين الذات والآخر ، وإنما هى نظرة قهرية لا تحقق العلاقة الحرة ما بين الأنا والأنت .

(ب) ١ — ومن هنا خطر الحكم بالرجوع إلى الحكم القبلى الخاص بالعلم على أنه تواتر منتظم . ظواهر يتكرر حدوثها بانتظام ، أو وقائع تتتابع دائماً أبداً بنفس الطريقة ؛ ٢ — وأن ممارسة العلم تنحصر فى الوصول ابتداء من أكبر عدد ممكن من الحالات ، إلى عمومية مجردة ، إلى ما هو مشترك بينها جميعاً ؛ ٣ — وأن وسيلة العلم هى التسجيل الرقمى وإلصاق بطاقة باسم خاص بما يتمخض عن فئات من الوقائع ، قائمة ... عن كومات خاصة ، تتبع التصنيف بالاستناد إلى كنه افتراضى ...

٤ — ويترتب على ذلك أن دراسة الواقعة الفردية التى تقتصر على ذلك لا تدخل فى العلم كعملية من عملياته .

(ح) ومن هنا خطر الحكم بالرجوع إلى شعورنا الطبقى . فبلورتنا الطبقية تجعلنا نتوهم الخصائص التى ترجع فى أصلها للتاريخ وكأنها خصائص للطبيعة البشرية . فالأيديولوجية عند « ماركس » تتحدد بالعوامل الاقتصادية وتحدد دوافع الأفراد المنتمين إلى طبقة واحدة (تفكير طبقى) .

(د) ومن هنا خطر الحكم بالرجوع إلى شعورنا ، فالشعور كما أبان التحليل جزئى ومتحيز ، يرينا من العالم ما يتفق مع نظامنا الدفاعى ومن هنا يكون التشويه والتبرير فى الإدراك والفهم والاتجاهات ، (تشويه إدراكنا للمرأة دفاعاً وإبعاداً للتهديد بالخصاء) .

(هـ) ومن هنا خطر الحكم بالرجوع إلى شعورنا ليس فحسب لأن العالم يعيد إلى كل واحد ما له من صورة عن نفسه ، وإنما لأن الشعور صيغة ممتازة ندركها بغير قاع أو قل ضمن قاع هو شعورى أيضاً : أما القاع الحقيقى فيتبعثر عن طريق الإسقاط فندركه وكأنه ينتسب إلى الآخرين . ومن هنا ما نتوهمه من حتمية مسالكنا بمعنى أن الغير بما يتخذه من موقف يفرض علينا هذه المسالك مع أن ما نتوهمه من حتمية مسالكنا يرجع فى الحقيقة إلى قاعنا الخاص ، وقد أسقطناه على الغير فرأينا من خلاله دلالة مسلكهم . ومن هنا فنحن لا نمسك بالشعور ضمن قاعه الحقيقى . ومن هنا ضرورة التلقائية بالرجوع إلى ما وراء الذات للإمساك بها ضمن وحدتها الاجتماعية والتاريخية ، ضمن انتشارها الخاص بإزاء المشكلات العامة .

ثانيا — الاقتصار على التسجيل :

وذلك إما فى صورة الوصف السطحى أو فى صـورة إحصائية رقمية

للوقائع (معامل ارتباط الخ..) . ذلك تقليد سطحى للمنهج الذى تستخدمه علوم الطبيعة .

(ا) والاقتصار على التسجيل يتوهم إمكانية تحقيق الملاحظة المطلقة وتجنب النسبية ، مع أن علوم الطبيعة لم تتقدم بالقضاء على النسبية ، وإنما تقدمت حين توقفت عن مجرد التسجيل لتبنى الوقائع بناء جديداً .

(ب) والاقتصار على التسجيل يتمشى فحسب مع النظرة الارسطالية التى تهدف إلى تكديس الوقائع فى فئات ، فى إنماط قوالب ، فى ماهيات ، استناداً إلى ما هو عام — بمعنى مشترك — يصلح أساساً للتجريد، والوصول إلى الفئة بمعناها المعيارى أو التصوراتى .

(حـ) والاقتصار على التسجيل — من حيث هو وسيلة لتحقيق العمومية المجردة — يغفل بالضرورة التباينات الفردية. إذ هى غير مشتركة وغير عامة، مع أن العلم ينبغى عليه أن يفسر لنا ويفهمنا هذه التباينات الفردية، وهذا لا يتحقق بتسجيل الوقائع، وإنما ببنائها بناء جديداً يتيح لنا أن نتبين نمط العلاقة المثالية التى تعد الحالات الفردية تباينات لها . ومعنى هذا أن العلم يبدأ من الواقعة الجزئية ليكشف عن نمط العلاقة المثالية ، أى أنه يستهدف الكشف عما هو مركزى لا مشترك (عمومية مركزية) .

(د) والاقتصار على التسجيل يغفل سياقات الوقائع وهى التى لا تنفصل عن تباينات الوقائع . فالريشة التى تطير ، والحجر الذى يسقط ، والكرة التى تتدحرج كلها مظاهر متباينة بتباين السياقات لنمط بعينه من العلاقة المثالية . وكذلك المسالك المختلفة والسوية، واستجابات العميان والمبصرين، الرجال والنساء ، الكبار والأطفال الخ . . فكل هذه التباينات الفردية بتباين الانتثارات (رغم وحدة المشكلة من الناحية الموضوعية) نجد ما يفسرها فى تصور الموقف بالقياس إلى البيئة . فنفس المثيرات الموضوعية تتمخض عن انتثارات إدراكية مختلفة . ومن هنا قصور التسجيل السطحى

وصفياً كان أم رقمياً ، وضرورة الرجوع إلى الوراء لاكتشاف الوحدة من وراء الكثرة ، من وراء تباين المظاهر بتباين الانتشارات ،أو بعبارة أخرى ضرورة الرجوع إلى الوراء لبناء الوقائع بناء جديداً. فنى هذا الرجوع إلى الوراء ما يسمح للباحث بأن يرى الوقائع لا كصيغة بغير قاع نبحث فيها عن المشترك ما بينها وبين غيرها لنقيم الفئات وإنما كصيغة ضمن انتشارها الخاص فى صلتها بالصيغ المماثلة ضمن انتشاراتها المختلفة وذلك بالرجوع إلى إطار واحد .

ثالثاً ــ التصورات الجامدة المصطنعة أو المقتطعة :

(ا) تجنب التصورات الإحصائية الجامدة كطفل السنة السادسة ، استناداً إلى معامل ارتباط بين بعض السمات وسن بعينها ، وكالعمر العقلى لهذه السنة أو تلك من سنى التطور الخ . .

(ب) تجنب النظر إلى نتائج الاختبارات بحسبانها صادقة ومطلقة ؛ فهى لا تعدو فى الحقيقة أن تكون تعبيراً عن لحظة بعينها من دينامية شخصية وبين ــ شخصية ، دينامية دائبة التغير كوحدة كلية حالية وزمنية معاً ، دينامية قوامها « الصيرورة إلى » ومن هنا يتحتم على الاختبار أن يتجه إلى الشخصية من حيث هى كذلك فلا يقف عند ما هو محيطى عارض ، وإنما يبلغ إلى ما هو مركزى ومتصل . فالاختبار ينبغى أن يتجه إلى صميم الظاهرة ، إلى الشخصية فى كليتها ، فيسمح بتبين التطور الدينامى بدلا من الاقتصار على قياس بعض الأداءات . فليست هنالك من حقيقة إلا حين نصل إلى مركز الشخصية .

(حـ) تجنب النزعة الواقعية بتصوراتها المقتطعة . فليس هناك مثير من ناحية واستجابة من ناحية أخرى ، ولا كائن من ناحية وموقف من ناحية أخرى ، فما من كائن إلا وفى موقف، وما من موقف إلا بالنسبة إلى كائن . وليس هناك فطرة من ناحية واكتساب من ناحية أخرى ، أو نضج من

ناحية وتعلم من ناحية أخرى ، فلا بد لكل تعلم من شيء من النضج ولا يتحقق النضج إلا حين تتوفر بعض المواقف المعينة، وليس هناك فسيولوجي من ناحية وسيكولوجي من ناحية أخرى ، أو إدراك من ناحية وسلوك من ناحية أخرى . ومفهوم القدرة نسبي فليس هنالك من قدرة فطرية تتبدى أو تتطور بغير شروط بيئية معينة . فالواقع إنما هو دينامية متصلة متاحة أبداً للتغير ، ولا يوجد شخص في ذاته ، في استقلال وعزلة ، وانما هو كائن في موقف تنتظم العوامل فيه ضمن انتظار فريد . وهكذا يستحيل علينا الإفلات من النسبية ، فلم تعد الفيزياء الحديثة تعتقد في إمكانية الاستبعاد التام لذاتية القائم بالملاحظة أو في إمكانية الوصول الى نتائج تجريبية تكون بمثابة نتائج للملاحظة مطلقة ، فالعلم يتبنى عبر النسبية ، والآخر إنما هو دينامية شخصية وبين — شخصية متطورة (جشطلت حالية زمنية معاً) ، وتوجد ضمن انتشارها الخاص ، ويتضح معناها بمقابلتها بالتباينات الأخرى ضمن الإطار العام . والنسبية في علم النفس تبدو من قول مورينو : « إن الموضوعية كيما تعمق يتحتم عليها أن تعاني نوبة من الذاتية » .

(د) تجنب النظر إلى القيمة والدلالة والغائية بحسبانها غير علمية .

والفيزياء تستخدم المتجهات . فكل سلوك ينبغي أن يدرس ضمن مجاله . والسلوك قوامه « توجه نحو » ومن هنا ينبغي أن نأخذ بالغائية ، لا على أنها منقوشة ثابتة في طبيعة منعزلة ، وإنما على أنها غائية مشروطة خاضعة لموقف تعد إجابة عليه .

ما ينبغي اتباعه فى العلم

أولا : التجنيس و السياقات فى العلم

١ – مبدأ تكثر الأشكال : إذا لم يكن الآخر طبيعة لها نفس الهوية ولم يكن طبيعة مغايرة مغلقة على نفسها ، وكان ولا بد للذات من أن تنظر نظرة تكافؤ إلى نفسها وإلى الآخـــر . فإنه يترتب على ذلك أن تكون طبيعة الآخر مماثلة أى مساوية من حيث المبدأ ، مختلفة من حيث الظروف. فالأنا والأنت والهو أشكال متباينة لما هو واحد فى جوهره . وعليه يتحتم أن ننظر إلى كل شخص ضمن وحدته الاجتماعية والتاريخية ، ضمن انتشاره الخاص . فلا الطفل نسخة منا ولا هو عالم مغلق ، ولا المرأة مكملة لما يكونه الرجل ، لا ولا هى عالم مغاير مغلق . وإنما هى استجابات تتباين أشكالها بالنظر إلى تباين الانتشارات ، بمعنى تباين الانتظام الذى تتخذه عناصر الإطار الواحد .

٢ – العلم هو ما يتجه إلى مركز الشخصية : أما تكديس الملاحظات السطحية تكديساً وصفياً أو رقميا للوصول إلى لافتة أو متوسط حسابى ، فليس فى ذلك ما يفسر شيئا . فالعلم لا ينبغى أن يقف عند الخصائص والسمات الظاهرة لا ولا عند الأداءات والنتائج ؛ فلا بد من الوصول إلى البنية الباطنية . ومعنى هذا أنه ينبغى علينا أن نقلد علوم الفيزياء فى عمق . فبدلا من العمومية المجردة ، والنتائج المتواترة ، وخفض السلوك إلى جانبه المادى ، ينبغى أن نتبع النهج الفكرى « الجاليلى » . ومعنى هذا أننا بدلا من أن نفكر بلغة الفئات ينبغى أن نفكر بلغة السياقات ، مما يعرف بالتجنيس. وبدلا من أن ننظر إلى الظواهر على أنها غير مترابطة ننظر إليها على أنها ظواهر تنتمى إلى نفس الإطار وإن تباينت بتباين السياقات . وهكذا فلا

نضحى بتباينات الوقائع ، وإنما يتحتم علينا أن نفهمها . فالمسالك المرضية والمسالك السوية ، ومسالك المبصرين ومسالك العميان ، إنما هى استجابات مختلفة باختلاف السياقات لنفس الإطار . والتجنيس معناه أن المواقف *متماثلة ، لا هى من نفس الهوية تماماً* ، ولا هى مختلفة تماما ، ومن هنا ضرورة النظر إلى الآخر وإلى المجتمع الآخر ، وإلى الحضارة الأخرى على أنها متكافئة مما يتحقق بالرجوع إلى ماوراء الذات ، وإلى ماوراء مجتمعنا ، وإلى ماوراء حضارتنا . وباختصار فالتجنيس يشير إلى تباين الاستجابات بتباين المواقف من المشكلة الواحدة .

٣ — قوانين علم النفس لا يمكن أن تكون تتابعات للوقائع ، وإنما يتحقق علم النفس حين نفهم الأنواع المختلفة للحياة على أنها أجهزة متوازية تجيب على نفس المشكلة بطرائق مختلفة .

ثانيا : تصورات شرطية فى العـــلم

١ — بالإضافة إلى تجنيس حقل الوقائع : ينبغى استخدام تصورات شرطية تتناول الظاهرة ضمن سياقها الحالى والزمنى أى فى علاقتها بالموقف والنشأة وذلك بدلا من الفئات .

هذا إلى تصورات مبنية بناء جديداً ، تتيح فهم الوقائع الفردية . وهذه الشروط هى التى تجعل من علم النفس علماً .

٢ — الواقعة الكيفية التى تبنى الوقائع بناء جديداً هى وحدها الأصيلة . فالواقعة الرقمية لا تقول شيئاً فى فهم كنه الظاهرة ، والواقعة التاريخية ليس لها من دلالة فى ذاتها . والعلم لا ينبغى أن يستبعد المفاهيم الكيفية من قيمة ودلالة وغائية . فالسلوك ينطوى على « توجه إلى » ، وبالتالى

فالغائية مفهوم شرعى على أن نفهمها بحسبانها مشروطة خاضعة لموقف تعد إجابة عليه .

٣ — والموقف تصور من التصورات الشرطية الأساسية : فتصور الموقف وتصور الغائية إنما هما من التصورات العلمية مما يتضح بالنظر إلى « المتجهات » فى الفيزياء ، فهى تخضع للعلاقات المتبادلة بين وقائع عديدة . فجميع العناصر فى حالة علاقة بينية فى الحقل ، والموقف يشتمل فحسب على هذه العناصر التى تستطيع أن تستثير استجابة من جانب الكائن . فالموقف هو النتيجة المشتركة للتجارب الداخلية والمعطيات الخارجية . الموقف هو همزة الوصل بين ما هو ذاتى وما هو موضوعى ، ومن هنا فهو أساسى لفهم الشخصية .

٤ — فى المنهج الجاليلى ترتبط دينامية الظاهرة بالموقف ، ومن ثم يصبح من الممكن مماثلة الظواهر الأخرى . والقانون هو هذه الصلة ، هو هذه الرابطة بين جميع المواقف ، بين جميع الحالات . إنه النموذج ، النمط المثالى الذى تعد هذه الحالات تباينات له .

٥ — يتطلب التجنيس وتتطلب التصورات الشرطية تغير النظرة إلى الغريزة . فطالما نظرنا إلى الغريزة على أنها طبيعة وغاية مطلقة فمفهومنا ارسططالى . فالغريزة من حيث هى « توجه نحو » مشروطة ترتبط بمواقف مفتوحة تستدعى شكلا معينا من التطور دون أن يكون هذا الشكل محدداً تحديداً كاملا . والغريزة بذلك تقترب من العادة والفعل اللا إرادى فيسرى عليها التجنيس . فهناك وحدة كلية من المسالك التى ليست الغريزة إلا لحظة من لحظاتها . إن الموقف المفتوح هو أشبه ما يكون « بالميلوديا » التى تقتضى نهاية معينة ، فغائية الغريزة لم تعد ممارسة لقوة تمتنع على التغير ، قوة فطرية تفعل ما تريد ، وإنما ينبغى النظر إليها بالرجوع إلى الوحدة الكلية للشخصية .

٦ ـــ خصائص الذكورة والأنوثة تبدو جد متوقفة على الناحية البدنية، ومع ذلك أبان التحليل استحالة فهمها بغير العلاقات البين ـــ شخصية . فلئن كان فرويد فى البداية قد قرر أن ماهية الليبيدو إنما هى مذكرة بحيث يكون المؤنث بجرده صورة أخرى للاصل ، فإنه عاد بعـــد ذلك وقرر الجنسية الثنائية بحيث لم يعد الجانب البيولوجى كافياً لتحديد جنس الشخص. ففى وسع العلاقات البينية أن تقلب الجنس رغم دعامته التشريحية. أما موقف أوديب فهو عند فرويد المدار المركزى بل المدار الوحيد ، وهو نمط ثابت استطاعت « ميد » أن تجعل منه نمط العلاقة المثالية فى المجتمعات الغربية . فالمشكلة الأساسية هى تبعية الأبناء للآباء والتفتح الجنسى السابق لأوانه عند الطفل . ولكن هذه العناصر وإن انتظمت فى انتثار أوديبى فى الحضارة الغربية فإنها تنتظم فى انتثارات أخرى مباينة فى الحضارات الأخرى . فقد اضطلعت بالتجنيس ووسعت مفهوم الشرطية . وفى رأيها أن العلاقة مابين الرجل والمرأة ، والأم والطفل ، هى ، الواحدة بالنسبة للأخرى ، سبب ونتيجة معاً وكلاهما يرتبط بموقف المجتمع من الطبيعة .

وعليه فعلاقة الذكورة والأنوثة إنما هى جانب من نسيج كلى . فكل مجتمع يعين تبعاً لطريقته فى الحياة نمطاً من الذكورة ونمطاً من الأنوثة مترابطين .

ثالثاً : نمط العلاقة المثالية والواقعة العيانية كبداية ونهاية

١ ـــ لا علم إلا منذ اللحظة التى يتم فيها بناء نماذج أو أنماط مثالية ، تسمح بمماثلة الظواهر المتباينة ، أى بالكشف عن الوحدة وراء كثرة التباينات ، أو بلغة الجشطلت الكشف عن هذه الصيغة التى تكون الظواهر الأخرى المماثلة ، تجسيدات لتبدلاتها الوضعية .

٢ — الواقعة الرقمية لا تقول شيئاً والواقعة التاريخية ليس لها من معنى في ذاتها والواقعة الكيفية هي وحدها الأصيلة . وترجع ضرورة بنائها الوقائع

بناء جديداً إلى تحليل الشعور من حيث هو قاع وصيغة معاً . نحن حين لا نمسك بالآخر بالرجوع إلى إطار من أنفسنا ، وحين نمسك به في إطاره الخاص فمعنى ذلك أننا نمسك بأنفسنا ضمن قاعها الحقيقي وذلك بالرجوع إلى ما وراء أنفسنا . يقتضي العلم إذن أن يكون شعورنا صيغة نمسك بها ضمن قاعها الحقيقي ، هذا الذي يتبعثر عادة عبر الإسقاط فلا ندركه إلا في الآخرين وكأنه ينتسب إليهم كقاع خاص بهم . والعلاج من حيث هو تعديل الشخصية إنما يتم في التحليل النفسي والسيكودراما ، بفضل ما يتاح الشخص من أن يرى نفسه عن بعد ، ويتبين أن ما يتوهمه من حتمية لسلوكه وتحديد له عن طريق مسالك الآخرين إنما يرجع في الحقيقة إلى طريقته هو في إدراك مسالك الآخرين وصبغها بدلالة معينة . فمسالكهم كانت تبدو له وكأنها تملي عليه سلوكه ، ولكنه يتبين أن هذه المسالك على نحو ما فهمها إنما هي إسقاط من جانبه ، إنما هي انعكاس لقاعه الذي لا يدركه . وهكذا يذهب عن سلوكه ما كان يتوهمه له من حتمية فتتعدل الشخصية . وعليه فحين يتوهم الشخص أنما انعكاس للآخر وللظروف القائمة فإنما يكون هو المرجع والإطار في نظره لهذا الآخر والظروف ، وفي حكمه عليهم . وهكذا يتحتم إسقاط التلقائية والرجوع وراء الدور العادي لنمسك بأنفسنا وبالآخر ضمن القاع المشترك لا القاع الطبقي ولا القاع الجماعي [illegible]

٣ — فلا بد من توفر علاقة حرة مع الآخر (موضوع الحكم) .

وتبعاً لحكمنا القبلي عن العلم والذي يستند إلى المفهوم الإحصائي ، يتوهم البعض تحقيق العلم عند توفر نتائج تتواتر بانتظام . أما الواقعة الفردية فتدخل في رأيهم في مجال الأدب وهي مرحلة تمهيدية للعلم . بغير

جولد شتاين بأن دراسة عميقة لحالة فردية قد تزيد فى قيمتها عن دراسة واسعة وسطحية لآلاف من الحالات . فهناك نوعان من الاستقراء : استقراء سطحى نصل به من حالات كثيرة وعن طريق التجريد إلى عمومية مجردة، واستقراء مركزى حتى لحالة واحدة نبحث داخلها عن تقاطع الوقائع والتقائها ، فنمسك بأنموذج مثالى ، نمسك بنمط العلاقة المثالية ، هذا الذى يسمح بمماثلة الحالات الأخرى . وفى الحالة الأولى تعظم العمومية بقدر ما تكون الحالات الكثيرة فقيرة . وفى الحالة الثانية تكون العمومية بالوصول إلى مركز الظاهرة . والعمومية الإحصائية تجمع الملاحظات المؤيدة للظاهرة دون أن تفسر شيئاً ، وتلصق لها اسما . وبعض التصورات كالغريزة والقدرة كانت مجرد تسجيلات لفظية ، مجرد لافتة لمسالك مؤيدة لنا بجمعها . ففى الحالين ننتقى عن طريق التجريد ، بعض السمات المشتركة بين المسالك والتى تتواتر بانتظام ؛ وفى الحالين يتسم علـــم النفس بالطابع الارسطاطالى، إذ ينصب على ماهو عام مجرد ، عما لا صلة له بالواقع، (المتوسط الإحصائى والتصور ــ اللافتة) .

٤ ــ يتحتم على العلم إذن أن يتخطى التصورات الإحصائية والتصورات الوصفية إلى الحالة النقية ، ونعنى هذه الحالة التى تكون فيها الوقائع الملاحظة هى المترابطة باطنيا وبصورة أساسية ، ومعنى هذا أننا من الناحية العقلية نبنى الوقائع بناء جديداً أو قل نستبصر بحقيقة بنيتها الداخلية . وما القانون إلا إنزال هذا البناء الذى نبنيه منزلة المثل الأعلى . فالعلم كيما يفهم ما هو عيانى يتحتم عليه أن يدير ظهره للعيانى بمعنى أنه يعيد بناء معطيات الحواس بطريقة عقلية حتى يمكنه أن يفهم التباينات الفردية . على العلم ألا يقنع بالتسجيل فى سلبية وإنما يعيد بناء المعطيات ليصل إلى بناء عقلى للواقع ،

يصل إلى أنموذج الواقع ، إلى ما هو مركزى ، لا إلى ما هو عام عن طريق التجريد[١] .

---

(١) أن الرأسمالية تستند إلى سيكولوجية الفئات والأنماط والسمات الثابتة مما يرتكز على المنهج الارسطالى ؛ أما الاشتراكية فتستند إلى تكافؤ ما بين الذات والآخر ، فالكل واحد من حيث المبدأ ، والواحد كثير بتكثر السياقات . صميم الاشتراكية هو تكافؤ النظرة إلى الأنا والأنت والهو مما يستند إلى المنهج الجاليلى . فليس الآخر من طبيعة مغايرة بحيث تقيم له فئة خاصة أو طبقة خاصة ، وليس الآخر من نفس الهوية بحيث يحصل الكل على نفس القدرة ، وإنما الآخر مماثل للذات : نفس العوامل ولكن تتباين سياقاتها ، مما تعبر عنه الاشتراكية : لا فروق طبقية وإنما هى فروق فردية ، هى فرصة متكافئة أمام الجميع ، أمام كل واحد تبعاً لإمكانياته الخاصة .

عن الذاتية والموضوعية في علم النفس

ما أبعد العملية العلمية فى صميمها عن أدوات الصنعة العلمية ، ومع ذلك فما أكثر الذين يتوهمون العلم مجرد تطبيق لأدوات القياس أو تجريب معملى أو معالجة إحصائيه أو غير ذلك من الوسائل التى لا يمكن أن تكون إلا مجرد وسائل

فالعملية العلمية لا تقوم على إستقراء فسيح لعدد كبير من الحالات كما يتوهم النهج الأرسطالى فى تناول الوقائع ، بل تقوم على إستقراء مركزى لحالة واحدة نقية تبرز فيها العلاقة بين الجنبات الأساسية للظاهرة على نحو إستثنائى من الوضوح يتيح للباحث أن يقوم ببنائها فى صورة الأنموذج الهيكلى ، النمط الكيفى ، نمط العلاقة المثالية هذه التى تتجسد فى الواقع العيانى فى تشكيلة من التباينات لا نهائية لتباينها .

هذا كله يشرحه لك فى وضوح ساطع الكتاب الذى بين يديك



الناشر
مكتبة سعيد رأفت